بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شـــرور أنفســنا ومــن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد ،،،

قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾{الذاريات٥٦}

وقال تعالى: ﴿ ولقد بعثنـــا فـــي كـــل أمـــة رســولا أن اعبــدوا الله واجتنبــوا الطاغوت﴾{النحل٣٦}

وقال تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾{الإسراء٢٣}

إن الله جل وعلا خلق الإنسان لغاية عظيمة كما خلق الجان لنفــس الغايـــة وهــي عبادته وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيتة وأسمائه وصفاته فهو الحق﴿ ليــس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ {الشورى١١}

فهو متفرد في ألوهيته وربوبيتة وأسمائه وصفاته التي تليق بجلاله فهو منزه عـــن النقائص والعيوب ومنزه من الوالد والولد. سبحانه جل شأنه﴿ يسبح لله مـــا فـــي السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾{الجمعة١}

فهذا الإله الذي هذه صفاته وهذه عظمته هو الذي يستحق العبادة والإخــلاص لـــه بها، لأن العظيم لا يحب أن يشاركه أحد في عظمته ولا في كبريائه ولا في عبادته لأنه ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم ﴾{الحديد٣}

من أجل ذلك بعث الرسل وأنزل الكتب ليعبده الناس ولا يشركوا به شيئا، فمن فعل ذلك فجزائه جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، ومن كفر به وأشرك توعده بنار جهنم خالدا فيها أبدا ﴿ لا يذوقون فيها بـــردا ولاشــرابا، إلا حميمــا وغساقا، جزاءا وفاقا﴾{النبأ٢٤-٢٦}

فالتوحيد هو دين الإسلام، وهو دعوة الرسل، وعليه قامت دولة الإسلام وبه تســعد البشرية في الدنيا والآخرة .

فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة: وهو توحيد الألوهية ويسمى أيضا توحيد القصد والطلب.

وتوحيده بربوبيته: أي هو الخالق الرزاق المدبر المحي المميت ..الخ

قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر ﴾{الأعراف٥٤}

وقال أيضا: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض، لا إله إلا هو، فأنى تؤفكون﴾{فاطر٣}

وقال:﴿ ولله ملك السموات والأرض﴾{آل عمران١٨٩}

وقال : ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء ﴾ {المؤمنون٨٨}

وتوحيده بأسمائه وصفاته: أي تثبت ما أثبت الله لنفسه من أسماء وصفات في القران وما أثبته له رسولهﷺ في سنته دون تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ {الشورى١١}

هذا هو التوحيد بأنواعه الثلاثة إذا حققته فزت وربحت وسعدت في الدنيا و الآخرة.

قال تعالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، وعد الله حقا، ومن أصدق من الله قيلا﴾ {النساء١٢٢}

حقا وصدقا ليس هناك أحد بأصدق من الله قيلا .ومقابل ذلك من لم يحقق هذا التوحيد بأنواعه الثلاثة فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة .

قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ {النساء ١١٦}.

إذن: فعلى كل فرد عاقل أن يوحد الله في عبادته ولا يشرك معه أحد﴿ ذلك بأن الله هو الحق، وان ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾{لقمان٣٠}.

وقال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم﴾{البقرة ٢٥٦} .

فتحقيق التوحيد لا يكون إلا بالكفر بالطاغوت وبغضه والتحذير منه وبغض أهله ومعاداتهم والتحذير منهم والتشهير بهم ليحذر الناس من شرهم .

قال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادن من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم.. إلي قوله : ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾{المجادلة٢٢}.

من هذا المنطلق ومن هذا المبدأ أحببت أن أبين فضل التوحيد واخص في هذا البحث كلمة التوحيد وفضلها وما يترتب عليه من خير في الدنيا والآخرة .

هذه الكلمة العظيمة التي قامت عليها السموات والأرض، هذه الكلمة من قالها دخل في حظيرة الإسلام فحرم ماله ودمه وحسابه على الله . ومن كفر بها اصبح حلال الدم والمال ما لم يدفع الجزية . فهذه كلمة التوحيد الذي من قالها صادقا وجد حلاوتها وبردها في قلبه، ولذتها على لسانه وكل ذلك لأنه نطق بكلمة خير كلمة على وجه البسيطة .

خطة البحث :

١. ذكرت في هذا البحث خمسون حديثا مشتملة على فضل التوحيد وفضل كلمته وتحريت في انتقائي للأحاديث الأحاديث الصحيحة وأكثرها من الصحيحين وأما التي من غير الصحيحين فإني أذكر درجة صحتها وأحيل إلى المرجع الذي صحح هذا الحديث.

٢. كما قمت بتخريج هذه الأحاديث وعزوها إلى مضانها.

٣. كما قمت أيضا بشرح الأحاديث معتمدا في ذلك بعد- الله عز وجل على الكتب الموثوقة عند أهل العلم، تارة أذكر كلام الشارح بتمامه دون تصرف، وتارة بتصرف مع ذكر ذلك وذكر المرجع الذي اعتمدته مع ذكر الصفحة .

٤. بذلت جهدي في أن أذكر شرح فضل كلمة التوحيد ولكن سياق الأحاديث وخطة البحث تتطلب مني التوسع في الشرح والخروج قليلا عن الموضوع إذا دعت الحاجة .

٥. كما قمت بترجمة بسيط لراوي الحديث، أعني الأحاديث التي صدرت بها هذا البحث، أما الأحاديث التي تأتي مع سياق الشرح فلم أذكر تراجم الرواة وذلك اختصار للبحث .

٦. كما وضعت أيضا عناوين جانبية عند شرح الحديث وذلك لتسهيل الوصول إلى المعلومة المطلوبة .

٧. كما صدرت هذا البحث برسالتين الأولى لفضيلة العلامة الشيخ محمد صالح العثيمين حفظه الله بعنوان (التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة) نقلتها برمتها لمناسبتها للبحث.

والرسالة الثانية لشيخ الإسلام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعنوان (الواجبات المتحتمات المعرفة) نقلت بعض ما فيها ما يوافق ما نحن بصدده.

هذا . وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

ولا يخفى على كل منصف أن كل عمل لاشك أن يكون فيه نقص ولا يسلم من الخطأ إلا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فهذا ما يسر الله لي كتابته في هذا البحث فان أصبت فيه فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان . فيا أخي المنصف في الله إن وجدت زلل وخطأ فسدد وقارب وأخبرنا بذلك فنحن لك أذن صاغية وقلبا منشرحا لقبول الحق . والله من وراء القصد . والحمد لله رب العالمين على منه وفضله .

كتبه الراجي عفو ربه ومغفرته

أبو تركي راشد الشرقي

٤/ذو القعدة/١٤١٨هـ

الموافق ١٩٩٨/٣/٢

ص. ب:
٤٠٣٢١

﴿ التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة ﴾ [1]

التوحيد وأقسامه:

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقيـــن، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وذلك حسب ما ذكره أهل العلم، وهي:

١. توحيد الربوبية.
٢. وتوحيد الألوهية.
٣. وتوحيد الأسماء والصفات.

وهي بالنسبة إلى الله عز وجل تدخلها كلها في تعريف عام، وهو (إفراد الله عـــز وجل بما يختص به).

القسم الأول: توحيد الربوبية:

فأما توحيد الربوبية، فهو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير.

أولا: إفراد الله بالخلق:

فالله وحده هو الخالق ولا خالق سواه قال تعالى: ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكـــم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾.

وقال تعالى مبينا بطلان ألهة الكفار: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفـــلا تذكـــرون﴾ فالله تعالى وحد هو الخالق ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾.

وخلقه يشمل ما يقع من مفعولات خلقه أيضا، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بالله تعالى خالق العباد كما قال تعالى: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾.

ووجه ذلك: أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخـــالق الشـــيء خـــالق لصفته.

---

[1] التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

ووجه آخر: أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامـــة، والإرادة والقــدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب.

فإذا قلت: كيف تقول إن الله تعالى متفرد بالخلق، مع أن الخلق قد يثبت لغـــير الله كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

وقول النبي ﷺ في المصورين: (يقال لهم أحيوا ما خلقتم) ؟.

فالجواب على ذلك: أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله، فلا يمكنه إيجاد معـــدوم ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله سبحانه وتعالى يكون بالتغيير وتحويل الشـــيء من صفة إلى أخرى، وهو مخلوق لله عز وجل.

فالمصور مثلا: إذا صور فانه لم يحدث شيئا، غاية ما هناك أنه حول شـــيئا إلـــى شيء، كما يحول الطين إلى صورة طير أو إلى صورة جمل، وكما يحول التلويـــن الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة، والمداد كله من خلق الله عز وجل أيضا.

هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله عز وجل واثبات الخلـــق. بالنســـبة إلى المخلوق، وعلى هذا فيكون الله تعالى منفردا بالخلق الذي يختص به.

ثانيا: إفراده سبحانه وتعالى بالملك:

فالله تعالى وحده هو الملك، قال تعالى: ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو علـــى كـــل شيء قدير﴾ وقال تعالى: ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجـــير ولا يجـــار عليه﴾.

فالملك الملك المطلق العام الشامل هو الله سبحانه وتعالى وحده.

ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله تعالى لغيره الملك، كما في قولـــه تعالى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ وقوله تعالى: ﴿ إلا على أزواجـــهم أو مـــا ملكـــت أيمانهم﴾ وما أشبه ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكا، لكن هـــذا الملك ليس كملك الله عز وجل فهو ملك قاصر، وملك مقيد.

ملك قاصر، لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو والبيت الـــذي لعمـــرو لا يملكه زيد.

ثم هذا الملك مقيد بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه، ولهذا نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، وقال تعالى: ﴿ ولا تؤتـــوا الســـفهاء

أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾. وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر وملك مقيد، بخلاف ملك الله سبحانه وتعالى فهو ملك عام شامل وملك مطلق يفعل الله تعالى ما يشاء ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾.

ثالثا: إفراده سبحانه وتعالى بالتدبير:

فالله سبحانه وتعالى منفرد بالتدبير يدبر الأمور، يدبر الخلق يدبر أمر السموات والأرض كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾. وهذا التدبير تدبير شامل. فلا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء وأما التدبير الذي يكون لبعض المخلوقات، كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه، وما أشبه ذلك فانه تدبير ضيق محدود ومقيد غير مطلق.

وبهذا يكون قد ظهر لنا صحة قولنا: إن توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير.

القسم الثاني : توحيد الألوهية:

وأما توحيد الألوهية فهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بألا يتخذ الإنسان مع الله أحدا يعبده ويتقرب إليه، كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبيﷺ واستباح نساءهم وذريتهم وأموالهم وأرضهم وديارهم، وهو الذي بعث به الرسل وأنزل به الكتب مع أخويه توحيد الربوبية والأسماء والصفات. لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد، وهو توحيد الألوهية، بحيث لا يصرف الإنسان شيئا من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ولا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من المخلوقين، لأن العبادة لا تصح إلا لله عز وجل.

ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر، وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء والصفات فلو أن رجلا من الناس يؤمن بأن الله سبحانه هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه سبحانه وتعالى المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات لكنه يعبد مع الله غيره، لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية وبتوحيد الأسماء والصفات.

ولو فرض أن رجلا يقر إقرارا كاملا بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، لكن يذهب إلى القبر، فيعبد صاحبه، أو ينذر له قربانا يتقرب به إليه، فان هذا مشرك كافر مخلد في النار. قال تعالى: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾.

ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب الله عز وجل أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم وذريتهم وغنم أرضهم كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق، لا يشكون في ذلك، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال .

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وأما القسم الثالث، فهو توحيد الأسماء والصفات وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته الله سبحانه لنفسه في غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

فلا بد من الإيمان بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز، ولكن من غير تكييف ولا تمثيل.

وهذا النوع من أنواع التوحيد ضل فيه طوائف من هذه الأمة من هذه القبلة الذين ينتسبون إلى الإسلام على أوجه شتى:

منهم من غلا في النفي والتنزيه غلوا يخرج به من الإسلام. ومنهم متوسط، ومنهم من هو قريب من أهل السنة.

ولكن طريق السلف في هذا النوع من التوحيد هو: أن يسمى الله عز وجل ويوصف بما سمى ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

مثال: سمى الله تعالى نفسه بـ(الحي القيوم) فيجب علينا أن نؤمن بـ(الحي القيوم) على أنه اسم من أسماء الله، ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء.

وسمى الله تعالى نفسه بـ(السميع العليم)، فيجب علينا أن نؤمن بـ(السميع) اسم من أسماء الله، وبالسمع صفة من صفاته، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه

ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سميعا بلا سمع، أو سمعا بلا إدراك مسموع فهذا شيء محال.

مثال آخر: قال الله تعالى: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾.

فهنا قال تعالى: ﴿ بل يداه مبسوطتان﴾ فأثبت لنفسه يدين موصوفتين بالبسط وهو العطاء الواسع، فيجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم.

ولكن يجب علينا ألا نحاول لا بقلوبنا وتصوراتنا، ولا بألسنتنا أن نكيف هاتين اليدين ولا أن نمثلها بأيدي المخلوقين، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. ويقول تعالى: ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾. ويقول عز وجل: ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾.

فمن مثل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين فقد كذب قول الله عز وجل: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وقد عصى الله تعالى في قوله: ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾.

ومن كيفهما وقال هما على كيفية معينة، أيا كانت هذه الكيفية، فقد قال على الله مالا يعلم، وقفا ما ليس لديه به علم.

مثال آخر: وهو استواء الله تعالى على عرشه لأن الله تعالى أثبت لنفسه أنه استوى على عرشه في سبعة مواضع من كتابه كلها أتت بلفظ (استوى).

وإذا رجعنا إلى (الاستواء) في اللغة العربية: وجدناه إذا عدى بـ(على) فإنه لا يقتضي إلا الارتفاع والعلو. فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وأمثالها من الآيات معناها: علا على عرشه عز وجل علوا خاصا غير العلو العام على جميع الأقوام.

وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة فهو عال على عرشه علوا يليق به عز وجل لا يشبه علو الإنسان على السرير ولا علوه على الأنعام، ولا علوه على

الفلك الذي ذكره في قوله: ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون، لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾.

وقد أخطأ خطأ عظيما من قال: إن معنى (استوى على العرش): استولى على العرش، لأن هذا تحريف لكلم عن موضعه وخالف لما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ومستلزم للوازم باطلة لا يمكن للمؤمن أن يتفوه بها بالنسبة إلى الله عز وجل.

فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية بلا شك كما قال تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾، وقال تعالى: ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾.

ومقتضى هذه الصيغة (استوى على كذا) في اللغة العربية العلو والاستقرار، بل هو معناها المطابق للفظ فمعنى (استوى على العرش) أي علا عليه علوا خاصا يليق بجلاله وعظمته فإذا فسرنا (استوى على) بـ(استولى) فقد حرفنا الكلم عن مواضعه، حيث أخرجنا هذا المعنى الذي تدل عليه لغة القرآن وهو العلو، إلى معنى الاستيلاء.

ثم إن السلف والتابعين لهم بإحسان مجمعون على هذا المعنى إذ لم يأت عنهم حرف واحد في تفسيره بخلاف ذلك.

وإذا جاء اللفظ في القرآن والسنة ولم يرد عن السلف تفسيره بما يخالف ظاهره، فالأصل أنهم أبقوه على ظاهره واعتقدوا ما يدل عليه.

ولهذا لو قال لنا قائل: هل عندكم لفظ صريح بأن السلف فسروا (استوى) بمعنى (علا) ؟ قلنا نعم ورد ذلك عن السلف. وعلى فرض ألا يكون قد ورد عنهم صريحا، فان الأصل فيما دل عليه من لفظ في القرآن الكريم والسنة النبوية أنه باق على ما تقتضيه اللغة العربية من المعنى.

أما اللوازم الباطلة التي تلزم على تفسيرنا (الاستواء) بمعنى (الاستيلاء) فإننا إذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ وقلنا (استوى) بمعنى (استولى) لزم من ذلك أن يكون

العرض قبل خلق السموات والأرض ليس ملكا له عز وجل لأنه قال: ﴿ خلق... ثم استوى ﴾.

فإذا قلت: ثم (استولى) لزم من ذلك أن يكون العرض ليس ملكا لله سبحانه وتعالى قبل خلق السموات والأرض، ولا حين خلق السموات والأرض.

وأيضا يلزم منه أن يصح التعبير بقولنا إن الله استوى على الأرض واستوى على أي شيء من مخلوقاته نقدره أو نقوله، وهذا لا شك معنى باطل لا يليق لله عز وجل.

فتبين بهذا أن تفسير (الاستواء) بـ(الاستيلاء) فيه محذوران:

أولهما: تحريف الكلم عن مواضعه.

والثاني: أن يتصف الله عز وجل بما لا يليق به.

الشهادتان ومعناهما:

الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله هما مفتاح الإسلام، ولا يمكن الولوج إلى الإسلام إلا بهما، ولهذا أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فأما الكلمة الأولى: (شهادة أن لا إله إلا الله): فأن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل.

لأن (إله) بمعنى مألوه، والتأله: التعبد.

والمعنى: أنه لا معبود إلا الله وحده.

وهذه الجملة تشتمل على نفي وإثبات:

أما النفي ففي قوله: (لا إله).

وأما الإثبات ففي قوله (إلا الله) ولفظ الجلالة (الله) بدل من الخبر المحذوف خبر (لا)، لأن التقدير (لا إله إلا الله).

فهو إقرار باللسان بعد أن آمن به القلب بأنه لا معبود حق إلا الله عز وجل. وهذا يتضمن إخلاص العبادة لله وحده، ونفي العبادة عما سواه.

وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة (حق) يتبين الجواب عن الإشكال الذي يورده كثير من الناس وهو: كيف تقولون (لا إله إلا الله) مع أن هناك آلهة، تعبد من دون الله،

سماها الله آلهة وسماها عابدوها آلهة فقال تبارك وتعالى: ﴿ فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك﴾. وقال تعالى: ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾. وقال تعالى: ﴿ ولا تدع مع الله إلها آخر﴾. فكيف يمكن أن نقول (لا إله إلا الله) مع ثبوت الألوهية لغير الله عز وجل؟ وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله تعالى والرسل يقولن لأقوامهم: ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾.

والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في (لا إله إلا الله) فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة باطلة ليست آلهة حقا، وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قول الحق سبحانه: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ ويدل لذلك أيضا قوله سبحانه: ﴿ أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذا قسمة ضيزى، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾. وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾.

إذا فمعنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود حق إلا الله عز وجل.

وأما المعبودات سواه من الرسل أو الملائكة أو الأولياء أو الأحجار أو الأشجار أو الشمس أو القمر أو غير ذلك فان ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ألوهية باطلة، وليست حقيقة، بل الألوهية الحق هي ألوهية الله عز وجل.

وأما معنى شهادة أن محمدا رسول الله: فهي الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمدا بن عبدالله الهاشمي القرشي رسول الله عز وجل إلى جميع الخلق من الجن والإنس قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾. وقال تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾.

ومقتضى هذه الشهادة أيضا أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقا من الربوبية وتصريف الكون أو حقا بالعبادة، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا

من النفع والضر إلا ما شاء الله، كما قال تعالى: ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلى﴾. فهو عبد مأمور يتبع ما أمره الله به.

وقال تعالى: ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾.

فهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ومعنى قولنا في الشهادتين: الإقرار باللسان والإيمان بالقلب أي لا بد من الجمع بينهما فإن من الناس من يعترف بلسانه دون قلبه كالمنافقين، فالمنافقون يقول الله تعالى عنهم: ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾. فهؤلاء قد اعترفوا بألسنتهم دون قلوبهم.

وقد يعترف الإنسان بقلبه لكن لا ينطق به، وهذا الاعتراف لا ينفعه بالنسبة لنا ظاهرا. أما فيما بينه وبين الله فحكمه إلى الله، لكنه في الدنيا لا ينفعه، ولا يحكم بإسلامه مادام لم ينطق بلسانه اللهم إلا أن يكون عاجزا عن ذلك عجزا حسيا أو حكميا، فقد يعامل بما تقتضيه حاله. فلا بد من الاعتراف بالقلب واللسان.

المتابعة:

المتابعة لا تتحقق إلا بستة أوصاف: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها، وجنسها، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانها.

أولا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها:

فأي إنسان يتعبد الله بعبادة مبنية على سبب لم يثبت بالشرع، فهي عبادة مردودة ليس عليها أمر الله ورسوله، ومثال ذلك الاحتفال بمولد النبي ﷺ وكذلك الذين يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رجب، يدعون أن النبي ﷺ عرج به في تلك الليلة، فهو غير موافق للشرع ومردود:

أولا: لأنه لم يثبت من الناحية التاريخية أن معراج الرسولﷺ كان ليلة السابع والعشرين، وكتب الحديث التي بين أيدينا ليس فيها حرف واحد يدل على أن النبي ﷺ عرج به في ليلة السابع والعشرين من رجب، ومعلوم أن هذا من باب الخبر الذي لا يثبت إلا بالأسانيد الصحيحة.

ثانيا: وعلى تقدير ثبوته فهل من حقنا أن نحدث فيه عبادة أو نجعله عيدا ؟ أبدا.

ولهذا قدم النبي ﷺ المدينة، ورأى الأنصار لهم يومان يلعبون فيها، قال: (إن الله أبدلكم بخير منها) وذكر لهم عيد الفطر وعيد الأضحى، وهذا يدل على كراهة النبي ﷺ لأي عيد يحدث في الإسلام سوى الأعياد الإسلامية وهي ثلاثة: عيدان سنويان وهما عيد الفطر والأضحى، وعيد أسبوعي وهو الجمعة.

فعلى تقدير ثبوت أن الرسول ﷺ عرج به ليلة السابع والعشرين من رجب وهذا دون ثبوته خرط القتاد لا يمكن أن نحدث فيه شيئا بدون إذن من الشارع.

وكما قلت لكم إن البدع أمرها عظيم، وأثرها على القلوب سيء، حتى وإن كان الإنسان في تلك اللحظه يجد من قلبه رقة ولينا، فان الأمر سيكون بعد ذلك بالعكس قطعا، لأن فرح القلب بالباطل لا يدوم، بل يعقبه الألم والندم والحسرة وكل البدع فيها خطورة، لأنها تتضمن القدح في الرسالة، لأن مقتضى هذه البدعة أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتم الشريعة مع أن، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾

والغريب أن بعض المبتلين بهذه البدع تجدهم يحرصون غاية الحرص على تنفيذها، مع أنهم متساهلون فيما هو أنفع وأصح وأجدى.

لذلك نقول إن الاحتفالات ليلة سبع وعشرين على أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ هذه بدعة، لأنها بنيت على سبب لم يأت به الشرع.

ثانيا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في جنسها:

مثل أن يضحي الإنسان بفرس، فلو ضحى الإنسان بفرس، كان بذلك مخالفا للشريعة في جنسها.

ثالثا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في قدرها:

لو أن أحدا من الناس قال إنه يصلي الظهر ستا فهل هذه العبادة تكون موافقة للشريعة ؟ كلا، لأنها غير موافقة لها في القدر.

ولو أن أحدا من الناس قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر خمسا وثلاثين مرة دبر الصلاة المكتوبة فهل يصح ذلك ؟

والجواب: إننا نقول إن قصدت التعبد لله تعالى بهذا العدد فأنت مخطئ، وإن قصدت الزيادة على ما شرع الرسول ﷺ ولكنك تعتقد أن المشروع ثلاثة وثلاثون فالزيادة لا بأس بها هنا، لأنك فصلتها عن التعبد بذلك.

رابعا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في كيفيتها:

لو أن الإنسان فعل العبادة بجنسها وقدرها وسببها، لكن خالف الشرع في كيفيتها، فلا يصح ذلك.

مثال ذلك: رجل أحدث حدثا أصغر. وتوضأ لكنه غسل رجليه ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه ثم غسل وجهه، فهل يصح وضوءه ؟ كلا لأنه خالف الشرع في الكيفية.

خامسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في الزمان:

مثل أن يصوم الإنسان رمضان في شعبان، أو في شوال. أو أن يصلي الظهر قبل الزوال، أو بعد أن يصير ظل كل شيء مثله، لأنه إن صلاها قبل الزوال صلاها قبل الوقت، وإن صلى بعد أن يصير ظل كل شيء مثله، صلاها بعد الوقت فلا تصح صلاته.

ولهذا نقول إذا ترك الإنسان الصلاة عمدا. حتى خرج وقتها بدون عذر، فإن صلاته لا تقبل منه، حتى لو صلى ألف مرة.

وهنا نأخذ قاعدة مهمة في هذا وهي (كل عبادة مؤقتة إذا أخرجها الإنسان عن وقتها بدون عذر فهي غير مقبولة بل مردودة).

ودليل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).

سادسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في مكانها:

فلو أن إنسانا وقف يوم عرفة بمزدلفة، لم يصح وقوفه، لعدم موافقة العبادة للشرع في مكانها.

والنبي ﷺ لما رأى بعض زوجاته ضربن أخبية لهن في المسجد، أمر بنقض الأخبية وإلغاء الاعتكاف ولم يرشدهن إلى أن يعتكفن في بيوتهن، وهذا يدل على أنه ليس للمرأة اعتكاف في بيتها لمخالفة الشرع في المكان.

فهذه ستة أوصاف، لا تتحقق المتابعة إلا باجتماعها في العبادة. والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.انتهى كلامه حفظه الله.

(شروط لا إله إلا الله) [1]

الأول – العلم بمعناها نفيا وإثباتا.

الثاني – اليقين: وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث – الإخلاص: المنافي للشرك.

الرابع – الصدق: المنافي للكذب المانع من النفاق.

الخامس – المحبة: لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك.

السادس – الإنقياد بحقوقها: وهى الأعمال الواجبة إخلاصا لله وطلبا لمرضاته.

السابع – القبول: المنافي للرد.

أدلة هذه الشروط من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ :

دليل العلم: قوله تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ {محمد ١٩} وقوله ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ أي بلا إله إلا الله. (وهم يعلمون) بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).

ودليل اليقين: قوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾{الحجرات ١٥} فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا. أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين.

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة). وفي رواية (لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة). [2]

---

[1] الواجبات المتحتمات المعرفة رسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

[2] سيأتي قريبا

وعن أبي هريرة أيضا من حديث طويل (من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة). [1]

ودليل الإخلاص: قوله تعالى : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ {الزمر ٣} وقوله سبحانه ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ {البينة ٥}

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه). [2] وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل). [3] وللنسائي في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها قلبه. يصدق بها لسانه. إلا فتق الله لها السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض. وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله). [4]

ودليل الصدق: قوله تعالى ﴿ آلم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ {العنكبوت١-٣} وقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ {البقرة ٨-١٠}.

ومن السنة: ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار). [5]

ودليل المحبة: قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ {البقرة ١٦٥} وقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا من

---

[1] سيأتي قريبا
[2] سيأتي قريبا
[3] سيأتي قريبا
[4] سيأتي قريبا
[5] سيأتي قريبا

يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعـــزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ {المائدة ٥٤}
ومن السنة: ما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال، قال رسـول الله ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورســوله أحـب إليــه ممــا سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله. وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقـذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار). [١]
ودليل الانقياد: لما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ {الزمر٥٤}
وقوله ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محســـن﴾{النســاء ١٢٥} وقولــه ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾
{لقمان ٢٢} أي بلا إله إلا الله وقوله تعالى﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ {النساء ٦٥}
ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لمـــا جئت به). [٢] وهذا هو تمام الانقياد وغايته.
ودليل القبول: قوله تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قـــال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قـــال أو لـــو جئتكــم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون. فانتقمنا منهم فـــانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ {الزخرف٢٣} وقوله تعالى ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون. ويقولون أئنا لتاركوا ءالهتنا لشاعر مجنون﴾{الصافات٣٥}
ومن السنة: ما ثبت في الصحيح عن أبى موسى رضي الله عنه عن النبيﷺ قـــال (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منـها

---

[١] أخرجه البخاري ٥٦/١ – ٥٨ في الإيمان – باب حلاوة الإيمان – باب من كره أن يعود في الكفـــر، وفـــي الأدب باب الحب في الله، وفي الإكراه – باب من اختار القتل والضرب والهون على الكفر، ومسلم (٤٣) فـــي الإيمان باب بيان خصال الإيمان ، والترمذي (٢٩٢٦) في الإيمان – باب ١٠ ، والنسائي ٩٦/٨ في الإيمان – باب حلاوة الإيمان، وابن ماجه (٤٠٣٣) في الفتن – باب الصبر على البلاء.

[٢] عزاه الهندي في كنز العمال ٢١٧/١ من الكتاب الأول في الإيمان والاعتصام، ومختصر الحجة على تارك المحجة (٢٥)، والبغوي في شرح السنة ١٨٥/١، وأبي عاصم في السنة ١٢/١، وابن رجب في جامع العلـوم والحكم (٣٦٤)، وضعفه الألباني في المشكاة ٥٩/١.

نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعـــان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله بـــه فعلم وعلم. ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). [1]

---

[1] أخرجه البخاري ١/١٦٠ - ١٦١ في العلم - باب فضل من علم وعلم، ومسلم (٢٢٨٢) فـــي الفضـــائل - باب مثل ما بعث النبي ﷺ

الحديث الأول

﴿فضل من حقق كلمة التوحيد دخل الجنة على ما كان من العمل﴾

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكِ لهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورسولُهُ، وأَنَّ عيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلىَ مَرْيَم وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقّ وَالنَّارُ حَقّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العملِ) وفِي رِوَاية (أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَبْوَبِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيـة أَيُّها شَاءَ).

وَعِنِدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيْث الصنَابِحِي عَنْ عُبَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(مَـنْ شَهدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّار).

وَفي رِوَايةِ الترمِذِي قَالَ الصنَابِحي(دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّـامِتْ وَهُـوَ فِـي الْمَوت، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ مَهْلاً، لِمَ تبكي ؟ فَوَاللهِ لَئِنِ اسْتُشْهِدْتُ لأَشْـهَدَنَّ لَـك، وَلَئِـنْ شُفِّعْتُ لأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنِ استطعتُ لأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَـمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْر إِلا حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلاَّ حَدِيثاً وَاحِداً، وَسَأُحَدِّثُكُمُوهُ اليَـوم وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ شَـهِدَ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّار). (١)

ترجمة الصحابي: عبادة بن الصامت وهو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيـس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بـن عمـرو بـن عـوف الخزرجي الأنصاري السالمي، كان نقيبا، وشهد العقبة الأولى، والثانية، والثالثـة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، و شهد بدرا، والمشاهد كلها، ثم وجهه عمر إلى الشام قاضيا ومعلما، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها في الرملة، وقيل ببيت القدس، سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

---

(١) أخرجه البخاري٦/٣٤٢ في الأنبياء – باب قوله تعالى(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا علـى الله إلا الحق)، ومسلم(٢٩)في الإيمان – باب الدليل على أن من مات على التوحيـد دخـل الجنـة، والـترمذي (٢٦٤٠) في الإيمان – باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله.

روى عنه أنس بن مالك، و جابر بن عبد الله، وفضالة بن عبيد، والمقداد وغيرهم من الصحابة والتابعين . وقيل أنه أقام إلى زمن معاوية ومات.

عبادة : بضم العين وتخفيف الباء، وأصرم بفتح الهمزة، وسكون الصاد المهملة، وغنم: بفتح العين المعجمة وسكون النون، ومرثد: بفتح الميم وبالراء والثاء المثلثة . (١)

قال النووي رحمه الله : هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاختصر ﷺ الأحرف على ما يباين به جميعهم . (٢)

شرح الحديث الأول

قوله: (من شهد أن لا إله إلا الله) أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا . (٣)

والشهادة لا تكون إلا عن علم سابق، قال تعالى: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ {الزخرف٨٦} وهذا العلم قد يكون مكتسبا، وقد يكون غريزيا.

والعلم بلا إله إلا الله غريزي، قال ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة). (٤)

وقد يكون مكتسبا، وذلك بتدبر آيات الله والتفكر فيها. (٥)

فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها، كما قال تعالى:﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ {محمد١٩} وقوله:﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ .

---

١ (جامع الأصول ٥٦٢/٢)

٢ (شرح مسلم ٢٧١/١)

٣ (فتح المجيد ص ٤٦)

٤ من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري ٤١٦/١ في الجنائز – باب إذا أسلم الصبي فمات، ومسلم (٢٠٤٧) في القدر – باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

٥ (القول المفيد ٥٨/١)

أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع .

قال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم: باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لابد من استيقان القلب – هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان. وأحاديث هذا الباب تدل على فساده. بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها .

ولأنه يلزم من تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعا أ.هـ .

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا. وهو قوله(من شهد) فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق .

معنى كلمة التوحيد :

معنى (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله. وهو في غير موضع من القرآن.

(وحده): تأكيد للإثبات (لا شريك له): تأكيد للنفي. قاله الحافظ كما قال تعالى:﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ {لبقرة ١٦٣}.

وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾{الأنبياء ٢٥} وقال: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾{الحج ٦٢} فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة. وإثباتها لله وحده لا شريك له، والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد إليه.

فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغبا ورهبا، وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى...، فمن صرف من ذلك شيئا لغير الله فقد جعله لله ندا، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل. [1]

---

[1] (فتح المجيد ص (٤٦-٤٧)

كلام العلماء في معنى (لا إله إلا الله):

قال الوزير أبو المظفر في الإفصاح: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله .

قال شيخ الإسلام (أبن تيميه): الإله هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد. وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من، الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.

قال : فإن الإله هو المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتتذلل له، وتخافه وترجوه وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أصدق الكلام وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

قال ابن رجب: (إلا الله): هو الذي يطاع فلا يعصى، هيبة له وإجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكل عليه وسؤال منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. [1]

فاعلم أن الإله من (أله) أي: (سكن) ، يقال: ألهت إلى فلان، أي: سكنت إليه، فالعقول السليمة لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح السعيدة لا تفرح إلا بمعرفته، لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال الله جل ذكره: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقيل: أله الفصيل[2] إذا ولع بأمه. والمعنى أن العباد مألوهون ومولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال.

---

[1] فتح المجيد (ص ٤٩)

[2] هو ولد الناقة أو البقرة بعد انفصاله عن أمه.

وقيل: من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به، فألهه أي: أجـــاره، فـــالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى﴿ وهو يجير ولا يجـــار عليه ﴾ {سورة المؤمنون ٨٨}.

وقيل: من أله الرجل إذا تعبد، وتأله إذا تنسك. وقرأ ابن عباس رضي الله عنـــهما: (ويذرك وآلهتك) [1]{سورة الأعراف ١٢٧} أي عبادتك، والإله هو الذي تؤلهه القلـــوب محبة، وإجلالا، وإنابة، وإكراما، وتعظيما، وذلا، وخضوعـــا، وخوفـــا، ورجـــاء، وتوكلا عليه وسؤالا منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله وحده، فمن أشـــرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الألوهية كان ذلك قدحـــا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيـــه من ذلك، كما حققه العلامة ابن القيم في كتابه (البدائع) [2] وابن تيمية في كثير مـــن كتبه [3] فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، لأن الإله هو المعبود المطـــاع، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق هو بمـــا اتصـــف مـــن الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضـــوع لـــه غايـــة الخضوع، والإله هو المحبوب المعبود الذي تؤلهه القلوب بحبها وتخضع له، وتذل له، وتخافه وترجوه وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه فـــي مصالحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلـــك إلا الله وحـــده، ولهذا كانت كلمة لا إله إلا الله أصدق الكلام، وكـــان أهلـــها أهـــل الله وحزبـــه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صححت صح بـــها كـــل مســـألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله، وهذا هـــو الكلام عند أهل السنة جميعهم، فيا سعادة من هدي إلى معرفة حقيقة دين الإســـلام واتبعه. [4]

---

[1] (انظر زاد المسير ٣/٢٤٤)

[2] هو (بدائع الفوائد) مطبوع متداول !

[3] (انظر العبودية له)

[4] مفتاح الجنة ص (٦٠ – ٦٢)

فقوله في الحديث: (وحده لا شريك له): تأكيد وبيان لمضمون معناها. وقد أوضح الله ذلك وبينه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين. فما أجهل عباد القبور بحالهم! وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص لا إله إلا الله! فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلا الله لفظا ومعنا. وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظا وجحدوها معنا، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بأنواع العبادة، كالحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة. بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب، فإن أحدهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى، ويعتقدون أنه أسرع فرجا لهم من الله، بخلاف حال المشركين الأولين، فإنهم كانوا يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنما يخلصون لله وحده، كما قال تعالى:﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾{العنكبوت٦٥} فبهذا يتبين أن مشركي أهل هذا الزمان أجهل بالله وتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم. (١)

تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله لا تكون إلا بإثبات بشريته وعبوديته:

قوله: (وأن محمدا عبده ورسوله): أي وشهد بذلك، وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل . (٢)

محمد: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي خاتم النبيين.

(عبده): أي ليس شريكا مع الله. (٣)

ومعنى (العبد) هنا المملوك العابد، أي أنه مملوك لله تعالى. والعبودية الخاصة وصفه كما قال تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده؟﴾{الزمر٢٦} فأعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة، فالنبي ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين. أما الربوبية والألوهية فهما حق الله تعالى، لا يشركه في شيء منهما ملك مقرب ولا نبي مرسل .

---

[1] فتح المجيد ص (٥٠)

[2] فتح المجيد ص (٥١)

[3] القول المفيد (٦٣/١)

وقوله (عبده ورسوله): أتى بهاتين الصفتين وجمعهما دفعا للإفراط والتفريط، فإن كثيرا ممن يدعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولا وفعلا، وفرط بترك متابعته، واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به... فإن شهادة أن محمدا رسول الله تقتضي الإيمان به وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدم عليه قول أحد كائنا من كان.[1]

فهو بشر مثلنا إلا أنه يوحى إليه قال تعالى: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد﴾{فصلت ٦}

ومن قال إن الرسول ﷺ ليس له ظل، أو أن نوره يطفئ ظله إذا مشى في الشمس فكله كذب باطل، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: (كنت أمد رجلي بين يديه وتعتذر بأن البيوت ليس فيها مصابيح) فلو كان النبي ﷺ له نور لم تعتذر رضي الله عنها، ولكنه الغلو الذي أفسد الدين والدنيا والعياذ بالله .

ومن الغلو قول البوصيري في البردة المشهورة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به — سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن يوم المعاد آخذا بيدي — فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها — ومن علومك علم اللوح والقلم

قال أبن رجب وغيره: إنه لم يترك لله شيئا مادامت الدنيا والآخرة من الرسول صلى الله عليه وسلم. ونشهد أن من يقول هذا ما شهد أن محمد عبد الله، بل شهد أن محمدا فوق الله ! كيف يصل بهم الغلو إلى هذا الحد ؟!! وهذا الغلو فوق غلو النصارى الذين قالوا: إن المسيح ابن الله، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة وقال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح).[2][3]

---

[1] فتح المجيد ص (٥١)

[2] من حديث ابن عمر أخرجه البخاري في الأنبياء – باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم)

[3] القول المفيد(٦٤/١)

الشهادة بنبوة عيسى عليه السلام وبشريته ونفي ما قاله النصارى فيه :

قوله : (وأن عيسى عبد الله ورسوله): زاد ابن المديني في روايته (وابن أمته) قال القرطبي: مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى وأمه. ويستفاد منه ما يلقنه النصراني إذا أسلم. (١)

ويجب على كل مسلم أن يعتقد خلاف ما يعتقده النصارى في عيسى عليه السلام من أنه هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا﴿ ما أتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله﴾{المؤمنون٩١} فلا بد أن يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، على علم ويقين بأنه مملوك لله، خلقه من أنثى بلا ذكر، كما قال تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾{آل عمران٥٩} فليس ربا ولا إلها، سبحانه عما يشركون. (٢)

وفي قوله: (عبدالله): رد على النصارى. وفي قوله (ورسوله): رد على اليهود. (٣)

قال ابن حجر رحمه الله: ....وقال غيره في ذكر عيسى تعريض بالنصارى، وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله (عبده) وفي ذكر رسوله تعريض باليهود في إنكارهم رسالته وقذفه بما هو منزه عنه وكذا أمه. وفي قوله (وابن أمته) : تشريفا له، وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه منه. (٤)

فعلى المؤمن أن يشهد ببطلان قول اليهود لعنهم الله عندما قالوا: أنه ولد زنا . فلا يصح إسلام أحد علم ما كانوا يقولونه حتى يبرأ من قول الطائفتين جميعا في عيسى عليه السلام، ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه بأنه عبدالله ورسوله . (٥)

إذن فالكلام في شهادة أن عيسى عبدالله ورسوله كالكلام في شهادة محمدﷺ ، إلا أننا نؤمن برسالة عيسى، ولا يلزمنا اتباعه إذا خالفت شريعته شريعتنا. فشريعة من قبلنا لها ثلاث حالات :

الأولى : أن تكون مخالفة لشريعتنا، فالعمل على شرعنا .

---

١ فتح الباري (٣٦٩/٦)

٢ فتح المجيد ص (٥٢)

٣ القول المفيد (٦٩/١)

٤ فتح الباري (٣٦٩/٦)

٥ فتح المجيد ص (٥٣)

الثاني : أن تكون موافقة لشريعتنا فنحن متبعون لشريعتنا، ولهذا الشرع الذي قيل لنا فيه ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده﴾{الأنعام٩٠}

الثالثة : أن تكون مسكوتا عنها في شريعتنا، وفي هـذه الحالـة اختلـف علمـاء الأصول هل نعمل بها أو ندعها ؟

والصحيح أنها شرعا لنا، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ أولئك الذين هدى الله فبـهداهم اقتده ﴾{الأنعام٩٠}

وقوله تعالى ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ {يوسف١١١}

معنى أن عيسى كلمته التي ألقاها إلى مريم :

قوله : (وكلمته) إنما سمي عيسى عليه السلام (كلمة) لوجوده بقوله تعالى (كـن) كما قاله السلف من المفسرين. قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية: بالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له (كن) فكان عيسى بكن وليس عيسى هو (كن) ولكـن بكن كان. (فكن) من الله تعالى قول، وليس (كـن) مخلوقـا، وكـذب النصـارى والجهمية على الله في أمر عيسى .

قوله : (ألقاها إلى مريم): قال ابن كثير: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلـى مريم فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عز وجل، فكان عيسى بإذن الله عز وجل فهو ناشئ عن الكلمة التي قال له (كن فكان) والروح التي أرسل بها: هو جبريل عليـه السلام. [1]

وقوله : (وكلمته ألقاها إلى مريم) : ففيه إثبات صفة الكلام لله تعالى خلافا للجهمية أيضا. [2]

---

[1] فتح المجيدص(٥٣)

[2] قرة عيون الموحدين ص(٢٧)

عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله :

قوله : (وروح منه): قال أبي بن كعب: عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله تعالى واستنطقها بقوله: ﴿ ألست بربكم؟ قالوا بلى﴾ {الاعراف١٧٢} بعثه الله إلى مريم فدخل فيها. رواه عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم .[١]

قال في قرة عيون الموحدين: قوله (وروح منه): أي من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام وأخذ عليها العهد على أنه تعالى ربهم كما قال﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا﴾{الاعراف١٧٢} وروح عيسى من تلك الأرواح التي خلقها الله تعالى .

وذكر ابن جرير عن وهب بن منبه قال: نفخ جبريل في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت .

وعن السدي : أن النفخة دخلت في صدرها فحملت .

وقال ابن جريج : يقولون إنما نفخ في جيب درعها وكمها . انتهى مختصرا، فجبريل نفخ والله خلق بقول (كن) فكان . كما قال تعالى: ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾{الحجر٢٩} فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه. وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى﴿روح منه﴾ فقال في الجواب: وهذا ليس خاصا بعيسى عليه السلام بل المخلوقات كذلك كلها. كما قال تعالى:﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾ {الجاثية١٣} أي خلقا وإيجادا وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته.[٢]

قال النووي رحمه الله: (وروح منه): أي مخلوقة من عنده وعلى هذا يكون إضافتها إليه إضافة تشريف، كناقة الله وبيت الله وإلا فالعالم له سبحانه وتعالى ومن عنده والله أعلم.[٣]

---

[١] فتح المجيد ص (٥٣)

[٢] قرة العيون ص(٢٨)

[٣] شرح مسلم (١/٢٢٧)

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية): المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب. وإذا كان المضاف عينا قائمة بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام، وأرواح بني آدم، أمتنع أن تكون صفة لله تعالى، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره.

لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تضاف إليه لكونه خلقها وأبدعها، فهذا شامل لجميع المخلوقات، كقولهم: سماء الله، وأرض الله، فجميع المخلوقين عبدا لله، وجميع المال مال الله.

الوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خصه به من معنى يحبه ويأمر به ويرضاه، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره. وكما يقال في مال الخمس والفيئ: هو مال الله ورسوله. ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه تتضمن الوهيته وشرعه ودينه، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه.اهـ ملخصا. [1]

قال في قرة العيون: وفي هذا الحديث الرد على اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله، فإنهم كانوا هم والنصارى في طرفي نقيض فنسبوه إلى الله ولد بغي قاتلهم الله، فأكذبهم الله تعالى في كتابه وأبطل قولهم كما أبطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها، فالنصارى غلوا في عيسى بن مريم عليه السلام أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالا بعيدا بينه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وبين تعالى الحق والصدق ورفع قدر المسيح عليه السلام وجعله من أولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورى، وأمر نبيهﷺ أن يصبر كما صبروا فقال: ﴿وأصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ فهم أفضل الرسل على التحقيق والنبي ﷺ أفضلهم

---

[1] فتح المجيد ص(٥٥)

صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . (١)

الإيمان بالجنة والنار من أركان الإيمان:

قوله : (والجنة حق والنار حق) أي وشهد أن الجنة التي أخبر بها الله تعالى في كتابه أنه أعدها للمتقين حق، أي ثابتة لاشك فيها، وشهد أن النار التي أخبر بها تعالى في كتابه أنه تعالى أعدها للكافرين حق كذلك ثابتة، كما قال تعالى﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ {الحديد٢١} وقال تعالى﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ {البقرة٢٤} وفي الآيتين ونظائرهما دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافا للمبتدعة، وفيهما الإيمان بالمعاد. (٢)

ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل والمرسل، فإن الله تعالى بين الجنة ...وذكر النار. (٣)

فضل التوحيد :

وقوله : (أدخله الله الجنة على ما كان من العمل): جواب من الشرطية، أي من شهد أن لا إله إلا الله إلى آخره أدخله الله الجنة أي بإخلاصه وصدقه والإيمان برسوله وما أرسل به، وخالف النصارى واليهود في الغلو والجفاء في حق عيسى، وعلم يقينا أنه عبد الله ورسوله، وآمن بالجنة والنار، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة .وإن كان مقصرا وله ذنوب، فهذه الحسنة العظيمة ترجح جميع السيئات، فتدبر هذا الحديث فإنه عظيم. والله أعلم. (٤)

---

[1] قرة العيون ص (٢٨)

[2] فتح المجيد ص (٥٥)

[3] قرة العيون ص (٢٩)

[4] قرة العيون ص (٢٩)

قال الحافظ : معنى قوله (على ما كان من العمل):أي من صلاح أو فساد، لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة .

ويحتمل أن يكون معنى قوله (على ما كان من العمل) أن يدخل أهل التوحيد على حسب أعمال كل منهم في الدرجات .

قال القاضي عياض: ما ورد في حديث عبادة يكون مخصوصا لمن قال ما ذكره ﷺ وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة. [1]

وإدخال الجنة ينقسم إلى قسمين:

الأول : إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتم العمل .

الثاني : إدخال ناقص مسبوق بعذاب لمن نقص العمل .

فالمؤمن إذا غلبت سيئاته حسناته إن شاء الله عذبه بقدر عمله وإن شاء لم يعذبه، قال الله تعالى﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾{النساء١١٦}. [2]

قوله : (أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء) :يقتضي دخوله الجنة وتخيره في الدخول من أبوابها، وهو بخلاف ظاهر حديث أبي هريرة الماضي في(بدء الخلق) فإنه يقتضي أن لكل داخل الجنة بابا معينا يدخل منه .

قال : ويجمع بينهما بأنه في الأصل مخير، لكنه يرى أن الذي يختص به أفضل في حقه فيختاره فيدخله مختارا لا مجبورا ولا ممنوعا من الدخول من غيره.

قال : ويحتمل أن يكون فاعل (شاء) هو الله، والمعنى : أن الله يوفقه لعمل يدخله برحمته من الباب المعد لعامل ذلك العمل. [3]

---

[1] فتح المجيد ص (٥٦)

[2] القول المفيد (٧٢/١)

[3] فتح الباري(٣٦٩/٦)

الحديث الثاني

﴿فضل كلمة التوحيد من قالها دخل الجنة﴾

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ شَهِدَ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ). [1]

ترجمة الصحابي: عبد الله بن عمر: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، وأسلم مع أبيه بمكة وهو صغير، وقد ذهب قوم إلى أنه أسلم قبل أبيه، ولم يصح، ولم يشهد بدرا، واختلفوا في شهوده أحدا، والصحيح أن أول مشاهده الخندق، وقيل: إنما استصغر يوم بدر، وأجازه النبي ﷺ يوم أحد، وروى نافع أنه رده يوم أحد لأنه كان له أربع عشرة سنة، وشهد ما بعد الخندق من المشاهده، وكان من أهل الورع، والعلم، والزهد، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتياه، وكل ما يأخذ به نفسه .

ولد قبل الوحي بسنة، ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين، وبعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين، وقيل دفن بفخ، وله أربع وثمانون سنة، وقيل ست وثمانون .

روى عنه خلق كثير، منهم ابناه سالم، وحمزة ونافع مولاه، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وخلق سواهم .

وله في كتب الحديث (١٦٣٠) حديثا. [2]

---

[1] قال الألباني حفظه الله: أورده في (الجامع الصغير) من رواية البزار عن ابن عمر. وأما الهيثمي فذكره في (المجمع)(١٦/١ -١٧) عن عمر رضي الله عنه وقال: (رواه أبويعلى والبزار، وفي إسناده عبدالله بن محمد بن عقيل، وهو ضعيف لسؤ حفظه) ، وصححه الألباني في ص/ الجامع (٦٣١٨) وفي السلسلة الصحيحة (٢٣٤٤) وقال: وإسناده حسن صحيح بما قبله. والأحاديث بمعناه كثيرة معروفة.

[2] جامع الأصول (٥٧٩/٢)

شرح الحديث الثاني

قال البخاري رحمه الله في صحيحه: قيل لوهب بن منبه رحمه الله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح لـــه أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

وذكر أبونعيم الأصفهاني في كتابه (أحوال الموحدين): أن أسنان هذا المفتاح هـــي الطاعات الواجبة من القيام بطاعة الله تعالى وتأديتها، والمفارقة لمعاصي الله تعالى ومجانبتها. [1]

[1] (مفتاح الجنة ص ٢٢)

الحديث الثالث

﴿ من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ﴾

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَــنْ قَــالَ: لاَ إِلَــهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصاً دَخَلَ الْجَنَّة). [1]

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ مُعَاذاً لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاة، قَالَ: اكْشِــفُوا عَنِّــي سَجَفَ الْقُبَّةَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:(مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصاً مِــنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّة). [2][3]

ترجمة الصحابي: جابر بن عبد الله: هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمــرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة من مشاهير الصحابة، واحد المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ ، شهد هو وأبوه العقبة الثانية، ولم يشــهد الأولى، وشهد بدرا، وقيل لم يشهدها، وشهد بعدها مع النبيﷺ ثماني عشرة غزوة، وقدم الشام ومصر، وأبوه أحد النقباء الأثنى عشر، وكف بصر جابر فــي آخــر عمره. روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن، وحمد بن علي الباقر، وعطاء بن أبي رباح، و أبو الزبير، فأكثر، ومحمد بن المنكدر، وخلق سواهم كثير. مات بالمدينة سنة أربع وسبعين، وقيل سنة ثمان وسبعين، وصلى عليه أبان بن عثمــان وهــو

---

[1] أخرجه ابن حبان (٧) ، واحمد (٢٣٦/٥)

[2] أخرجه ابن حبان (٤) ، واحمد (٢٣٦/٥) ، وأبو نعيم (٣١٢/٧)

[3] والحديثان صححهما العلامة الالباني في السلسلة الصحيحة(٢٣٥٥) وفــي الجــامع (٦٤٣٣) وقــال: ورواه صدقة بن يسار عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل: فذكره مثل لفظ ذكوان . أخرجــه ابو نعيم (١٧٤/٧) بسند صحيح . ثم أخرجه (٢٥٤/٩) من طريق الهيثم بن جماز عن أبي داود عن زيد بــن أرقم مرفوعا بلفظ الترجمة مع الزيادة . وهذا إسناد واه. وأخرجه البزار ص(٣) في زوائده من طريق عطيــة عن أبي سعيد مرفوعا به . قلت : ورجاله ثقات كلهم ، غير عطية ، فإنه ضعيف ، ومدلس ، كما قال الحــافظ عقب الحديث في (الزوائد) . وأخرجه الحاكم (٢٥١/٤) . (انظر السلسلة الصحيحة (٢٣٥٥) .

أميرها، وله أربع وتسعون سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول[1] وله في كتب الحديث (١٥٤٠).

شرح الحديث الثالث

المحبة حقيقة الإخلاص:

وحقيقة الإخلاص هو توحيد الله ومحبته فلا يكون التوحيد إلا مع المحبة، أما مجرد المحبة من غير التوحيد لا تنفع صاحبها، لأن كل إنسان يقول ويقر بمحبة الله عز وجل حتى الكافر ولكن هيهات هيهات.

كل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

عابد الأوثان وعابد الصليب واليهودي والزنديق والمجوسي وغيرهم يدعون المحبة الباطلة والله يبرء من محبتهم ويبغضهم (والله غني حميد) لأن العظيم لا يحب أن يشاركه في عظمته وقدرته وجبروته وكبريائه أحد. فهم أشركوا مع الله في عبادته (ألوهيته) وربوبيته وأسمائه وصفاته (فتعالى الله عما يشركون)

قال ابن رجب رحمه الله:

قال الليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ لا يشركون بي شيئا ﴾ {النور ٥٥} قال: لا تحبوا غيري.

وفي صحيح الحاكم[2] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور، أو تبغض

---

[1] جامع الأصول (٢٥٥/١)

[2] الصواب أن يقال: مستدرك الحاكم. لأن فيه أحاديث ضعيفة وبعض الموضوعات وهذا تسامح من المؤلف رحمه الله.

على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض) ؟ قال الله تعالى: ﴿ قـــل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[1]{آل عمران ٣١} وهذا نص في أن محبة مـــا يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاة على ذلك والمعاداة عليه مـــن الشرك الخفي.

وقال الحسن: إعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته!

وسئل ذو النون: متى أحب ربي ؟ قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر !

وقال بشر بن السري: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك !

وقال أبو يعقوب النهرجوري: كل من ادعي محبة الله ولم يوافـــق الله فـــي أمـــره فدعواه باطلة.

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده.

وقال رويم: المحبة والموافقة في جميع الأحوال، وأنشد.

ولو قلت لي: مت. مت سمعا وطاعة وقلت لداعي الموت: أهلا ومرحبا

ويشهد لهذا المعنى أيضا قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فـــاتبعوني يحببكـــم الله﴾{ آل عمران ٣١}.

قال الحسن: قال أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله إنا نحب ربنا حبا شديدا، فـأحب الله أن يجعل لحبه علما، فأنزل الله – تعالى – هذه الآية. [2]

ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمدا رســـول الله، فإنه إذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهـــه، فصـــارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته.

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٩١/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبـــه الذهبـــي فـــي التلخيص بقوله: عبدالأعلى . قال الدارقطني : ليس بثقة. فالحديث ضعيف ولكن الطرف الأول منه ورد مـــن عدة طرق وإن كانت ضعيفة إلا أنها ترتقي بالحديث إلى درجة الحسن. انظر مجمـــع الزوائـــد ٢٢٦/١٠ – ٢٢٧.وأحمد في مسنده ٤٠٣/٤ – ٤١٧ وأبويعلى في مسنده رقم (٥٨) و (٦٠) و (٦١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧٩/٢ إلى ابن أبي حاتم. وأبونعيم في الحلية والحاكم وكذلك الشوكاني في فتح القدير ٥٠٤/١.

[2] عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٢ – ١٧٨ إلى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصري. وعـــزاه أيضا إلى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق عباد بن منصور . وعزاه أيضا إلى الحكيم الترمذي عن يحيى بن أبي كثير. وإلى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج وكذلك الشوكاني في فتح القدير ٥٠٣/١.

ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم﴾ إلى قوله: ﴿ أحب إليكم من الله ورسوله ﴾{التوبه ٢٤} كما قرن بين طاعته وطاعة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة.

وقال ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار). [1]

تلازم الظاهر والباطن:

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم، سمحوا ببذل نفوسهم، قالوا لفرعون:﴿فاقض ما أنت قاض ﴾{طه ٧٢} ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب.

وهذا هو معنى الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري في صحيحه، وفيه: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) [2]وفي بعض الروايات: (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي).

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب، وصارت النفس حينئذ مطمئنة ففنيت بإرادة مولاها عن مرادها وهواها.

يا هذا ! اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف، إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها إلا ما يريده مولاه.

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان / باب حلاوة الإيمان ٩/١ وفي كتاب الإكراه / باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٥٦/٨ ومسلم في كتاب الإيمان / باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (٦٧) و (٦٨).

[2] أخرجه البخاري في كتاد، الرقائق / باب التواضع ١٩٠/٧

وفي بعض الكتب السالفة: من أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال: ما نظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر على طاعة أو معصية، فإذا كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت.

هذا حال خواص المحبين، فافهموا – رحمكم الله – هذا، فإنه: من دقائق أسرار التوحيد الغامضة. وإلى هذا المقام أشار –ﷺ– في خطبته لما قدم المدينة حيث قال: (أحبوا الله من كل قلوبكم) [1] وقد ذكرها ابن إسحاق وغيره.

فإن من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادات النفس والهوى...

متى بقي للمحب من نفسه حظ فما بيده من المحبة إلا الدعوى، إنما المحب من يفنى عن نفسه كله، ويبقى بحبيبه، (فبي يسمع، وبي يبصر).

القلب بيت الرب: وفي الإسرائيليات يقول الله: (ما وسعتني سمائي ولا أرضي، لكن وسعني قلب عبدي المؤمن). فمتى كان القلب فيه غير الله، فالله أغنى عن الشرك، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى.

الحق – تعالى – غيور، يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه، وأن يكون فيه شيء لا يرضاه.

أردناكم صرفا فلما مزجتم ... بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم: لا تسكنوا القلب غيرنا ... فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

النجاة لا تكون إلا لصاحب القلب السليم:

لا ينجو غدا إلا من لقي الله بقلب سليم، ليس فيه سواه. قال الله تعالى: ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾{ الشعراء ٨٨ – ٨٩ }

---

[1] ذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية ٢/١٤٦ – ١٤٧ بدون سند كذلك أورده الإمام البيهقي في دلائل النبوة ٢/٥٢٤ – ٥٢٥.

القلب السليم: هو الطاهر من أدناس المخالفات، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدوس إلا بعد أن يطهر في كير العذاب، فإذا زال منه الخبث صلح حينئذ للمجاورة. (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا).[1]

فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر: ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾{الزمر ٧٣} ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة﴾{النحل ٣٢}

ومن لم يحرق اليوم قلبه بنار الأسف على ما سلف، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشد حرا.

ما يحتاج إلى التطهر بنار جهنم إلا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه. انتهى كلامه رحمه الله.

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الزكاة / باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها رقم (١٠١٥) وأحمد في مسنده ٣٢٨/٢. والترمذي في كتاب تفسير القرآن / باب ومن سورة البقرة رقم (٢٩٨٩) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

الحديث الرابع

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها ترحم قائلها من النار إن قالها صدقا ﴾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، ومُعَاذَ رَدِيفَهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ : (يَا مُعَاذُ) قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ قَالَ: (يَا مُعَاذُ) قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ (يَا مُعَاذُ) قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثاً، قَالَ (مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُهُ، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ) قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ: (إِذَنْ يَتَّكِلُوا) فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّماً. (١)

ترجمة الصحابي: أنس بن مالك هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي خادم النبي ﷺ أمه أم سليم بنت ملحان، قدم النبي ﷺ وهو ابن عشر سنين وقيل تسع ، وقيل ابن ثمان، وخدم النبي ﷺ عشر سنين وقد جاء في بعض الحديث أنه خدمه لما خرج إلى غزوة خيبر وانتقل إلى البصرة في خلافة عمر ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين ، وقيل سنة اثنتين، وقيل سنة ثلاثة، وله من العمر مائة وثلاثة سنين أو و سنة أو و سنتان وقيل تسع وتسعون سنة، وقال أبن عبد البر: وهو أصح ما قيل.

---

[١] أخرجه البخاري ٣١/٣٠٠ في التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وفي الجهاد – باب اسم الفرس و الحمار، وفي اللباس باب عمل صاحب الدابة غيره بين يديه، وفي الاستئذان – باب من أجابك بلبيك وسعديك، وفي الرقاق – باب من جاهد نفسه، وفي العلم – باب من خص بالعلم دون قوم، ومسلم (٣٠) في الإيمان – باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

يقال أنه ولد له مائة ولد وقيل ثمانون منهم ثمانية وسبعون ذكرا واثنتان أنثى: حفصة وأم عمرو، وروى عنه الزهري وأبن سيرين وقتادة و ثابت وحميد وجماعة من أولاده وأولاد أولاده وكثير من التابعين، وله في كتب الحديث (٢٢٨٦) حديثا.[١]

شرح الحديث الرابع

فضل من حقق الشهادتين صادقا بها قلبه :

قوله (صدقا): فيه احتراز عن شهادة المنافق، وقوله (من قلبه) يمكن أن يتعلق بيشهد أي: يشهد بقلبه، والأول أولى.

وقال الطيبي: قوله (صدقا): أقيم هنا مقام الاستقامة لأن الصدق يعبر به قولا عن مطابقة القول المخبر عنه ويعبر به فعلا عن تحري الأخلاق المرضية كقوله تعالى:﴿ والذي جاء بالصدق مصدق به ﴾{الزمر٣٣} أي حقق ما أورده قولا بما تحراه فعلا.انتهى

وأراد بهذا التقرير رفع الإشكال عن ظاهر الخبر لأنه يقتضي عدم دخول جميع من شهد الشهادتين النار لما فيه من التعميم والتأكيد. لكن دلت الأدلة القطعية عند أهل السنة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة. فعلم أن ظاهره غير مراد، فكأنه قال أن ذلك مقيد بمن عمل الأعمال الصالحة، قال: ولأجل خفاء ذلك لم يؤذن لمعاذ في التبشير به وقد أجاب العلماء عن الإشكال أيضا بأجوبة أخرى فهناك: أنها مطلقة مقيدة بمن قالها تائبا ثم مات على ذلك .

ومنها: أن ذلك كان قبل نزول الفرائض وفيه نظر، لأن مثل هذا الحديث وقع لأبي هريرة كما رواه مسلم، وصحبته متأخرة عن نزول أكثر الفرائض وكذا ورد نحوه من حديث أبو موسى رواه أحمد بإسناد حسن، وكان قدومه في السنة التي قدم فيها أبو هريرة.

---

[١] انظر جامع الأصول (١٤٨/١)

ومنها: أنه خرج مخرج الغالب إذ الغالب أن الموحد يعمل الطاعة ويتجنب المعصية.

ومنها: أن المراد ا لنار التي أعدت للكافرين، لا الطبقة التي أفردت لعصاة الموحدين.

ومنها: أن المراد بتحريمه على النار حرمة جملته، لأن النار لا تأكل مواضع السجود من المسلم، كما ثبت في حديث الشفاعة أن ذلك محرم عليها، وكذا لسانه الناطق بالتوحيد والعلم عند الله.

شفقة النبي ﷺ على أمته :

قوله: (إذا يتكلوا): بتشديد المثناة المفتوحة وكسر الكاف، وهو جواب وجزاء، أي إن أخبرتهم يتكلوا. وللأصيلي والكشميهني (ينكلوا) بإسكان النون وضم الكاف. أن يمتنعوا من العمل اعتمادا على ما يتبادر من ظاهره. وروى البزار بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذه القصة (أن النبي ﷺ أذن لمعاذ في التبشير، فلقيه عمر فقال: لا تعجل ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأيا إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها فقال(فرده) وهذا معدود من موافقات عمر، وفيه جواز الاجتهاد وبحضرته صلى الله عليه وسلم .

واستدل بعض متكلمي الأشاعره من قوله(يتكلوا) على أن للعبد اختيارا كما سبق في علم الله .

أمانة العلم :

قوله : (عند موته): أي موت معاذ. وأغرب الكرماني فقال: يحتمل أن يرجع الضمير إلى رسول الله ﷺ .

قلت: ويرده ما رواه أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:اخبرني من شهد معاذا حين حضرته الوفاة يقول: سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لم يمنعني أن أحدثكموه إلا مخافة أن تتكلوا فذكره.[1]

---

[1] فتح الباري (١٨٢/١)

وقول الراوي: (فأخبر بها معاذ عند موته تأثما): هو بفتح الهمزة وضم المثلثة المشدودة، قال أهل اللغة تأثم الرجل، إذا فعل فعلا يخرج به من الاثم، وتحرج أزال عنه الحرج، وتحنث أزال الحنث.

ومعنى تأثم معاذ: أنه كان يحفظ علما يخاف فواته وذهابه بموته فخشى أن يكون ممن كتم علما وممن لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ في تبليغ سنته فيكون آثما، فاحتاط وأخبر بهذه السنة مخافة الإثم، وعلم أن النبي ﷺ لم ينهه عن الإخبار بها نهي تحريم .

قال القاضي عياض رحمه الله: لعل معاذ لم يفهم من النبي ﷺ النهي، لكن كسر عزمه عما عرض له من بشراهم بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه(من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) قال: أو يكون معناه بلغه بعد ذلك أمر النبي ﷺ لأبي هريرة وخاف أن يكتم علما علمه فيأثم، أو يكون حمل النهي على إذاعته وهذا الوجه ظاهر، وقد أختاره الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله فقال: منعه من التبشير العام خوفا من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل. وأخبر ﷺ على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة، فإنه أخبر به معاذا فسلك معاذا هذا المسلك فأخبر به من الخاصة من راءاه أهلا لذلك. [1]

قال الشارح مُلاّ علي القاري في (مرقاة المفاتيح) [2] يعني من قال هذه الكلمة وأدى حقها وفرائضها، فيكون الامتثال والانتهاءُ مندرجين تحت الشهادتين، وقيل: إن آخر، وهذا اختيار الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى.[3]

---

[1] شرح مسلم (٢٤٠/١)

[2] (مرقاة المفاتيح ٩٧/١)

[3] مفتاح الجنة ص (٢٥)

الحديث الخامس

﴿ فضل كلمة التوحيد أن من قالها يبتغي بها وجه الله ﴾

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَاب رَحِمَهُ اللهَ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ ابْنُ الرَّبِيع: أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ الله ﷺ، وعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهاَ في وَجْهِهِ مِنْ بِئْرٍ كَانَتْ فِي دَارِهِم، وَزَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ عِتْبَانُ بْنِ مَالكٍ الْأَنْصَارِي وكَانَ مِمَّنْ شَهدَ بَدْراً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: كُنتُ أُصلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِم، وكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَاد، إِذَا جاءَتِ الأَمْطَارُ يَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُه قِبَلَ مَسْجِدهِمْ فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَإِنَّ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصلِّي فِي بَيْتِي مَكَاناً أَتَخِذُهُ مُصلَّى، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : (سَأَفْعَل) فغدا عَلَيَّ رَسُولُ الله وَأَبُو بكر، بَعْدَماَ أَشْتَدَّ النَّهار، وَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ، حَتَّى قَالَ: (أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟) فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَكَبَّرَ،وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرٍ يُصْنَعَ لَهُ، فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ الله فِي بَيْتِي، فَثَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ، حَتَّى كَثُرَ الرِجَالُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا فَعَلَ مَالِك ؟ لا أَرَاهُ ! فَقَالَ رجَلٌ مِنْهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ ، لاَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، أَلاَ تَرَاهُ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله عَزَّ وَجَلَّ؟) فَقَالَ اللهُ ورَسُولُهُ أَعلَم، أَمَّا نَحْنُ فَوَالله مَا نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إِلاَّ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ (فَإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله) .

قَالَ مَحْمُود: فَحَدَّثْتُهَا قَوْماً فِيهِمْ أَبُو أَيُوبَ صَاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَتِهِ الَّتِي تُوفِيَ فِيهَا، ويَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَة عَلَيْهِم بِأَرْضِ الرُّوم، فَأَنْكَرَهاَ عَلَيَّ أَبُو أَيُوبَ، وقَالَ: وَالله مَا أَظُنُّ رَسُولَ الله ﷺ ؟ قَالَ مَا قُلْتَ ذَلك قَطُّ، فَكَبُرَ ذَلكَ عَلَيَّ، فَجَعَلْتُ لِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَسْلَمَنِيَ اللهُ حَتَّى اَقْفِلَ مِنْ غَزْوَتِي: أَنْ اَسْأَلَ عَنْهاَ عُتْبَانَ بنَ مَالِكٍ، إِنْ وَجَدْتَهُ حَيّاً فِي مَسْجِدِ قَوْمِهِ، فَفَعلْتُ، فَأَهْلَلْتُ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ، ثُمَّ سِرْتُ حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ بَنِي سَالِمٍ، فَإِذَا عُتْبَانَ شَيْخٌ أَعْمَى يُصَلَّى لِقَوْمِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ مِنَ

الصَّلاَة، سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَأخبَرتُه مَنْ أنَا ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلكَ الْحَدِيث؟ فَحَدَثَنِيه كَمَا حَدَثَنِيَهُ أَوَّل مَرَّةَ. وَفِي رِوَايَة: قَالَ أَبْنُ شِهَاب: ثُمَّ سَأَلْتُ الْحُصَيْن بْن مُحَمَّدِ الأَنْصَارِيّ، وَهُوَ أَحَدْ بَنِي سَالِمْ، وَهُوَ مِن سَرَاتِهم، عَنْ حَدِيث مَحْمُود بْنِ الرَّبِيع، فَصَدَّقَهُ بِذَلكَ. وَفِي رِوَايَة فَقَالَ رِجَلٌ : أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنْ، أَوْ الدُّخَيْشِن؟ قَالَ الزُّهْرِي: ثُمَّ نَزَلَتْ بَعد ذَلكَ فَرَائِضُ وَأُمُورٌ تَرَى أَنَّ الأَمْرَ انْتَهَى إِلَيْهَا، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنَّ لاَ يَغْتَرَّ فَلاَ يَغْتَرَّ .أخرجه البخاري ومسلم .

وَلمُسْلِم قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عُتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ، فَقَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْء، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللهﷺ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي تُصَلِّي فِي مَنْزِلِي، فَأَتَّخِذُهُ مُصَلَّى، قَالَ فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ، فَهُو يُصَلِّيَّ فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُون بَيْنَهُم ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمُ ذَلكَ وَكِبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشُم، قَالَ: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرّ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَتَهُ وَقَالَ:(أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ) قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ:(لاَ يَشْهَدُ أَحَد أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَيَدخُلُ النَّارِ أَوْ تَطْعَمُهُ) قَالَ أَنَسُ : فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيث فَقُلْتُ لاَبْنِي: اكْتُبْهُ فَكَتَبَه. (١)

ترجمة الصحابي: عتبان بن مالك: هو عتبان بن مالك بن عمر بن العجلان الأنصاري الخزرجي المسالمي، وهو ممن شهد بدراً، ولم يذكره ابن إسحاق في البدريين وذكره غيره، ولم يخرج له البخاري ومسلم إلا حديثاً واحداً.

توفي في خلافة معاوية، وكان قائماً بديات قومه إلى أن مات رحمه الله تعالى. (٢)

[1] أخرجه البخاري ١٣٢/٢ في صلاة الجماعة – باب الرخصة في المطر والعلة، وباب إذا زار الإمام قوما فأمهم، وفي المساجد – باب إذا دخل بيتا يصلي حيث شاء وحيث أمر، وفي صفة الصلاة – باب يسلم الإمام، وباب من لم يرد السلام على الإمام، وفي التطوع – باب صلاة النوافل جماعة، وفي المغازي – باب شهود الملائكة بدرا، وفي الاطعمة باب الحزيرة، وفي باب العمل الذي ابتغي به وجه الله، وفي استتابة المرتدين والمعاندين – باب ما جاء في المتأولين .

ومسلم (٣٣)في الإيمان – باب الدليل على من ممات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

[2] (جامع الأصول ٥٩٥/٢)

شرح الحديث الخامس

هذا الحديث العظيم الطويل فيه فوائد ومسائل كثـــيرة لا يتســع المقــام لذكرهــا وسأكتفي بما يناسب المقام الذي نحن بصدده .

قوله : (من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) .

فضل الإخلاص في التوحيد :

هذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخـــلاص ونفـــي الشـــرك، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما دون الآخر، فإن مـــن لـــم يكـــن مخلصا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقا فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصـــا الإلهية لمن لا يستحقها غيره هو الله تعالى، وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الـــذي قال فيه الخليل عليه السلام﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنـــا أمـــة مســـلمة لك﴾{البقرة١٢٨} وقالت بلقيس﴿ ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع ســـليمان لله رب العالمين ﴾{النمل٤٤} وقال الخليل عليه السلام(إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) والحنيف هو الذي ترك الشرك رأسا وتـــبرأ منه وفارق أهله وعاداهم، وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده كمـــا قـــال تعالى﴿ ومن يسلم وجهه لله وهو محســـن فقـــد استمســـك بـــالعروة الوثقـــى ﴾ فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق، وهو معنى الآية ونحوهـا إجماعا. فهذا هو الذي ينفعه قوله (لا إله إلا الله) ولهذا قال تعالى﴿ فقد استمســـك بالعروة الوثقى﴾. وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعوا غير الله ويستغيث بـــه مـــن ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر كما ترى عليه اكثر الخلق فهؤلاء وإن قالوها فقـــد تلبسوا بما يناقضها، فلا ينقطع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفيـــا وإثباتـــا، والجـــاهل بمعناها وإن قالها فإنها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الـــذي أريـــد منها نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له، فإذا انتفى اليقيـــن وقـــع الشك. مما قيدت به في الحديث قوله ﷺ (غير شاك) فلا تنفع إلا من قالـــها بعلـــم

ويقين وقوله صدقا من قلبه خالصا من قلبه، وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص، ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة، فإنها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة، ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله (لا إله إلا الله) كما هو حال كثير من عبدة الأوثان يقولون لا إله إلا الله . وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص، ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله ، وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه(إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبه) وهي لا إله إلا الله، وقد عبر عنه الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الإخلاص كان قوله لهذه الكلمة كذب منه، قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ونفي ما أثبتته من الإخلاص. فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك الجهل بمعناه واتباع الهوى، فيصدقه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.[1]

وفي الحديث رد على المرجئة، والخوارج والمعتزلة. فالمرجئة يقولون: يكفي قول لا إله إلا الله دون ابتغاء وجه الله.

وفيه رد على الخوارج والمعتزلة، لأن ظاهر الحديث أن من فعل هذه المحرمات لا يخلد في النار، لكنه مستحق للعقوبة، وهم يقولون: أن فاعل الكبيرة مخلد في النار. [2]

[1] قرة العيون ص (٢٩)

[2] القول المفيد (٧٤/١)

الحديث السادس

﴿ البشارة من رسول الله لمن حقق كلمة التوحيد ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنَّا قُعُوداً حوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي نَفَرٍ، فقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ اظْهُرِنَا، فأَبْطَأَ عَلَيْنَا، فَخَشِينا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وفَزِعْنَا فكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أتيتُ حَائطاً لِلأَنْصَارِ لبني النجَّار، فدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدَ لَهُ بَاباً؟ فَلَمْ أَجِدْ، فإذا رَبِيع يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِط مِنْ بِئْرٍ خَارِجَه – والرَّبِيْعُ: الْجَدوَلَ – قَالَ: فَأحْتَفَزت، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: (أَبوُ هُرَيْرَةَ؟) فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (مَا شَأْنُكَ؟) قُلْتُ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فقُمْتَ فَأَبطَأْتَ عَلَيْنَا، فخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونِنَا، ففَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فأَتَيْتُ هَذَا الْحَائط، فاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزِ الثعلبُ، فَدَخَلْتُ وهَؤُلاَءِ النَّاس وَرَائِي، فَقَالَ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ) وأَعْطَانِي نِعْلَيْهِ – فَقَالَ: (اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْن، فَمَنْ لَقِيكَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحائطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ) فكَانَ أَوَّلَ مَنْ لقيتُ عُمَرَ، فقَالَ: مَا هَاتَانِ النّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قُلْتُ: هَاتَانِ نِعْلاَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، بعَثَنِي بِهِماَ مَنْ لقيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُسْتَيْقَناً بِهَا قَلْبُه بَشَّرْتُه بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فخَرَرْتُ لأَسْتِي، فقَالَ ارْجَعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأجهشتُ بالْبُكَاءِ، ورَكِبَنِي عمرُ، فإذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) فَقُلْتُ لَقِيْتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُه بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لأستِي، فقَالَ: أرْجِع، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (يَا عمرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْت؟) قَالَ يَا رَسُول الله، بَأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، أَبعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مستيقناً بها قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ قَالَ:(نَعَمْ) قَالَ: فَلاَ تفْعَل، فَإِنِي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهم يَعْمَلُونَ ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (فَخَلِّهم). [1]

---

[1] أخرجه مسلم (٣١) في الإيمان – باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

ترجمة الصحابي: أبي هريرة قد اختلف في اسم أبي هريرة ونسبه اختلافا كثيرا، وأشهر ما قيل فيه أنه كان في الجاهلية عبد شمس، أو عبد عمرو، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمن، وهو دوسي، قال أبن عبد البر لا يصح في اسمه ونسبه مع الخلاف الكثير الذي فيه شيء ، وقال الحاكم أبو أحمد: اصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة: عبد الرحمن بن صخر، وغلبت عليه كنيته، فهو كمن لا أسم له ، أسلم عام خيبر، وشهدها مع النبي ﷺ ، ثم لزمه وواظب عليه، راغبا في العلم، راضيا بشبع بطنه، وكان يدور معه حيثما دار، وكان من أحفظ الصحابة، ويحضر مالا يحضره أحد منهم لملازمة النبي ﷺ .

قال البخاري: روى عنه أكثر من ثماني مائة رجل من صحابي وتابعي ، فمنهم ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وأنس، وواثلة بن الأسقع.

مات بالمدينة سنة سبع وخمسين،وقيل: ثمان وخمسين، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين. وإنما سمي أبا هريرة لأنه كانت له هرة صغيرة يحملها معه.[١]

شرح الحديث السادس

حب الصحابة وخوفهم على رسول الله ﷺ :

قوله: (فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا): قال أهل اللغة: يقال نحن بين أظهركم، وظهريكم، وظهرانيكم بفتح النون، أي بينكم.

قوله: (وخشينا أن يقتطع دوننا): أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر وإما بغيره.

قوله: (وفزعنا وقمنا فكنت أول من فزع): قال القاضي عياض رحمه الله: الفزع يكون بمعنى الروع، وبمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به، وبمعنى الإغاثة.

---

[١] جامع الأصول (٢/٥٩١)

قال: فتصح هذه المعاني الثلاثة أي: ذعرنا لاحتباس النبي ﷺ عنا، ألا تراه كيف قال: وخشينا أن يقتطع دوننا. ويدل على الوجهين الآخرين قوله(فكنت أول من فزع)

قوله: (حتى أتيت حائطا للأنصار): أي بستانا، وسمي بذلك لأنه حائط لا سقف له.

قوله: (فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجه، والربيع الجدول): أما الربيع فبفتح الراء على لفظ الربيع الفصل المعروف، والجدول بفتح الجيم، وهو النهر الصغير، وجمع الربيع أربعاء كنبي وأنبياء .

وقوله: (بئر خارجة) هكذا ضبطناه بالتنوين في بئر وفي خارجة صفة لبئر، وكذا نقله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح الذي هو بخط الحافظ أبي عامر العبدري ....

قوله: (فاحتفزت كما يحتفز الثعلب): هذا وقد روي على وجهين روي بالزاي وروي بالراء.قال: وسمعنا عن الأسدي عن أبي اليث الشاشي عن عبد الغفار الفارسي عن الجلودي بالزاي وهو الصواب، ومعناه: تضاممت ليسعني المدخل. وكذا قال الشيخ أبو عمرو أنه بالزاي في الأصل الذي بخط أبي عامر العبدري، وفي الأصل المأخوذ عن الجلودي وأنها رواية الأ كثرين، وأن رواية الزاي أقرب من حيث المعنى. ويدل عليه تشبيه بفعل الثعلب وهو تضامه في المضايق ـ وأما صاحب التحرير فأنكر الزاي وخطأ رواتها واختار الراء، وليس اختياره بمختار والله تعالى أعلم .

قوله: (فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه وقال: (اذهب بنعلي هاتين): في هذا الكلام فائدة لطيفة فإنه أعاد لفظه ...... أما إعطاؤه النعلين فلتكن علامة ظاهرة معلومة عندهم يعرفون بها أنه لقي النبي ﷺ ، ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ ، ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيدا، وإن كان خبره مقبولا من غير هذا والله اعلم.

قوله ﷺ : (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة): معناه أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة. وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم. وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع

اعتقاد التوحيد دون النطق، ولا النطق دون الاعتقاد بل لابد من الجمع بينهما، وقد تقدم إيضاحه في أول الباب .

وذكر هنا القلب للتأكيد ونفي توهم المجاز، وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب .

صدق محبة الصحابة فيما بينهم :

قوله: (فقال: ما هاتين النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت: هاتين نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما): هكذا هو في جميع الأصول. فقال: (هاتين نعلا) بنصب هاتين ورفع نعلا وهو صحيح معناه. فقلت: يعني هاتين هما نعلا رسول الله ﷺ ، فنصب هاتين بإضمار (يعني) وحذف(هما) التي هي المبتدأ للعلم به .

أما قوله(بعثني بهما): فهكذا ضبطناه بهما على التثنية وهو ظاهر. ورفع في كثير من الأصول أو أكثرها(بها) من غير ميم، وهو صحيح أيضا. ويكون الضمير عائدا إلى العلامة فإن النعلين كانتا علامة والله أعلم .

قوله: (فخررت لأستي): فهو اسم من أسماء الدبر .

وأما دفع عمر رضي الله عنه له فلم يقصد به سقوطه وايذاءه، بل قصد رده عما هو عليه، وضرب بيده في صدره ليكون أبلغ في زجره. قال القاضي عياض وغير من العلماء رحمهم الله: وليس فعل عمر رضي الله عنه ومراجعته النبيﷺ اعتراضا عليه وردا لأمره. إذ ليس فيما بعث به أبا هريرة غير تطييب قلوب الأمة وبشراهم. فرأي عمر رضي الله عنه أن كتم هذا أصلح لهم وأحرى أن لا يتكلوا، وإنه أعود عليهم بالخير من معجل هذه البشرى. فلما عرضه على النبيﷺ صوبه فيه والله أعلم .

وفي هذا الحديث: أن الإمام والكبير مطلقا إذا رأى شيئا ورأى بعض أتباعه خلافه أنه ينبغي للتابع أن يعرضه على المتبوع لينظر فيه، فإن ظهر له أن ما قاله التابع هو الصواب رجع إليه، وإلا بين للتابع جواب الشبهة التي عرضت له والله اعلم .

قوله: (فأجهشت بكاء): أما قوله أجهشت فهو بالجيم والشين المعجمة والهمزة والهاء مفتوحتان. هكذا وقع في الأصول التي رأيناها، ورأيت في كتاب القاضي

عياض رحمه الله:(فجهشت) بحذف الألف، وهما صحيحان قال أهل اللغة: يقال جهشت جهشا وجهرشا، وأجرشت إجهاشا .

قال القاضي عياض رحمه الله: وهو أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو متغير الوجه متهيئ للبكاء ولما يبك بعد .

قال القرطبي: هو الفزع والاستغاثة. وقال أبو زيد: جهشت للبكاء والحزن والشوق والله اعلم.

أما قوله (بكاء) فهو منصوب على المفعول له. وقد جاء في رواية (للبكاء) والبكاء يمد ويقصر لغتان .

قوله: (وركبني عمر): فمعناه: تبعني ومشى خلفي في الحال بلا مهلة .

قوله: (على أثري) : ففيه لغتان فصيحتان مشهورتان بكسر الهمزة وإسكان الثاء وبفتحهما والله أعلم .

قوله: (بأبي أنت وأمي): معناه، أنت مفدى أو أفديك بأبي وأمي . وفيه جواز قول الرجل للآخر بأبي أنت وأمي. قال القاضي عياض رحمه الله: وقد كرهه بعض السلف. وقال: لا يفدي بمسلم. والأحاديث الصحيحة تدل على جوازه سواء كان المفدى به مسلما أو كافرا حيا كان أو ميتا والله أعلم . [1]

---

[1] شرح مسلم ١(/٢٣٥)

الحديث السابع

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها اثقل من كل شيء في الميزان ﴾

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يارَبِّ، فَيَقُولُ أَفَلَكَ عِذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فإنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيها أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا هَذه الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فقال: إنك لاَ تُظْلَمُ، قال: فَتُضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَة، ولاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ تَعَالَى شَيْءٌ). (١)

ترجمة الصحابي: عبد الله بن عمرو بن العاص هو أبو عبد الرحمن، وقيل أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص بن وأيل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه، وكان أبوه اكبر منه بثلاث عشرة سنة، وقيل: باثنتي عشرة سنة، وكان عابدا، عالما حافظا، قرأ الكتب، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه، فأذن له. وقد اختلف

---

[١] أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) في الإيمان - باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وابن ماجه(٤٣٠٠) في الزهد - باب ما يرجى من رحمة الله، وابن حبان وذكره الهيثمي في موارد الظمآن (٦٢٥) في الزهد - باب الخوف والرجاء، وأحمد ٢/٢١٣، والحاكم ١/٥٢٩ ووافقه الذهبي على تصحيحة وصححه الألباني في ص/الجامع (١٧٧٦) والسلسلة الصحيحة (١٣٥) وقال في السلسلة الصحيحة بعد أن ذكر تخريجه قال: من طريق الليث بن سعد عن عامر بن يحي عن أبي عبدالرحمن الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم :فذكره . وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. قلت : وهو كما قالا، وأبو عبدالرحمن الحبلى - بضم الموحدة - اسمه عبدالله بن يزيد. ثم رواه أحمد (٢/٢٢١-٢٢٢) من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن يحي عن أبي عبدالرحمن الحلبي به . وقلت: وابن لهيعة سئ الحفظ ، فأخشى أن يكون قول: (عمر ابن يحي) وهما منه، أراد أن يقول (عمر) فقال (عمرو) ويحتمل أن يكون الوهم من بعض النساخ أو الطابع. والله أعلم (السلسلة الصحيحة١٣٥)

في وفاته، فقيل: مات ليالي الحرة، في ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وقيل: سـنة ثلاث وسبعين، وقيل: مات بفلسطين سنة خمس وستين، وقيل مات بمكة سنة سبع وستين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: مات بالطائف سنة خمس وخمسين، وقيل مات بمصر سنة خمس وستين.

روي عنه مسروق، وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وعـروة بـن الزبير، وحميد بن عبد الرحمن. وخلق كثر سواهم.[١] وله في كتاب الحديث (٧٠) حديثا .

شرح الحديث السابع

قال ابن القيم رحمه الله: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحده، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض.

قال: وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب. ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه. (٢)

وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان وأن الأعمال وإن كانت أعراضا فإنها توزن، والله على كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة، والأحاديث في ذلك متظافرة إن لم تكن متواترة. (٣)

---

[١] جامع الأصول (٥٨٠/٢)

[٢] فتح المجيد ص(٦٥)

[٣] السلسلة الصحيحة (٢١٣/١)

لا تكون لا إله إلا الله ثقيلة في الميزان حتى تأتي بشروطها كاملة:

ذكرت في بداية الكتاب شروط لا إله إلا الله مع شرحها. وهنا أود أن اذكر إحدى شروط هذه الكلمة مع التنبيه على أن لا إله إلا الله التي ينتفع بها صاحبها وتكون ثقيلة في الميزان لا تكون كذلك إلا بتحقيق شروطها ومن شروطها:

هذا الشرط وهو الإخلاص. وهو أصل هذه الكلامة الذي بدونه لا تنفع ولا تشفع. فهؤلاء المنافقين في الدرك الأسفل من النار وكانوا يقولونها ويرددونها في الصلاة والجهاد ولكنهم ما أخلصوا لها فهي حسرة عليهم يوم القيامة وندامة ما بعدها ندامة.

قال تعالى: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، انظرونا نقتبس من نوركم، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور، فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير،﴾{الحديد١٣-١٥}

هذا حال من قالها غير مخلصا بها ولا موقن ولا مصدق فكيف تنفعه ؟!!!

ومن إخلاصها الكفر بالطاغوت والإيمان بالله جل وعلا. والطاغوت كل ما عبد من غير الله عز وجل من أصنام وأوثان وقبور وغيرها، فلا يجعل في قلبه حبا ولا مكان إلا لله العلي القدير . فلا تكون التحلية إلا بعد التخلية.

قال العلامة محمد سلطان الخجندي:[1]

فلا يكون إيمان العبد صحيحا حتى يكفر بهذه كلها، ويؤمن بالله وحده، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾{البقرة —٢٥٦}

وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فتنفي الآلهة كلها من كل الوجوه، وتثبت الإله الحق الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فهذا التوحيد الخالص إنما هو مفتاح الجنة بلا ريب ولا شبهة، فتفكر وتدبر قصة اللات والعزى

[1] مفتاح الجنة ص (٣٤)

ويغوث ويعوق وغيرها، وراجع التفاسير المعتبرة وكتب الأحاديث الصحاح، وأعمل عقلك تظهر لك الحقيقة وينكشف الغطاء، فتعرف معنى لا إله إلا الله كما هو، وبفضل الله تعالى وهدايته وتوفيقه.

فقائل: لا إله إلا الله، يجب عليه أن يستمر عليه وعلى موجبه، وأن لا يبطله بما ينافيه من الشرك واتخاذ الأنداد، واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله، وإلا بطل ولا تبقى له منفعة، كما تبطل سائر العبادات بالرياء ونحوه، كما قال الله تعالى: ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾{البقرة٢٦٤} الآية، فأخبر أن صدقة المرائي والمنان باطلة لم يبق فيها منفعة له، وكذا قوله تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ {محمد٣٣}:﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾{المائدة ٥-٦}:﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء﴾{النور٣٩} فلا بد من الاستمرار على التوحيد وعلى كل ما يقتضيه التوحيد، ولا بد من الكفر بالطواغيت وكل آلهة دون الله كما لا يخفى، فمن يقول: لا إله إلا الله، ثم يقول: إن الأرواح تتصرف وتمد، أو يدعوا غير الله، أو ينذر لغير الله، أو يخاف غير الله، أو يرجوا غير الله غيبا، فقد أبطل قوله: لا إله إلا الله، بل أشرك بالله شركا جليا لا يغفره الله عز وجل فتنبه.

والأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات قد أمرونا أن نؤمن بما أتوا به، وأن نقتدي بهم وبهداهم، قال الله تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون﴾{البقرة١٣٦} ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ {الأنعام٩٠}.

ومحمد ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، ولم يبق طريق إلى الله تعالى إلا اتباع محمد ﷺ ، فما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو استحباب فهو مشروع ومرغوب فيه، وما لم يأمر به ولم يفعله فلا يقال: إن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي، ولا يجوز أن تثبت شريعة بحديث ضعيف فضلا عن منكر أو موضوع أو كشف أو إلهام أو نوم أو خيال، أو آراء الرجال، لأن الثواب عند الله، ولا يعلم ما عند

الله، وأن في الأمر الفلاني ثوابا إلا بإعلام الله، وذلك لا يكون إلا بواسطة محمد رسول الله ﷺ .[1]

كلمة التوحيد هي الفصل بين الكفر والإسلام:

واعلم أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى التي ألزمهم ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ {الفتح٢٦} وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه[2] لعلهم يرجعون، وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويحجون ويطوفون ويقرؤون القرآن ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان بها ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ : (من قال: لا إله إلا الله مخلصا – وفي رواية: خالصا من قلبه، وفي رواية: صادقا من قلبه – دخل الجنة).[3]

وفي حديث آخر: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله دخل الجنة)[4] إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

كلمة التوحيد نفي وإثبات:

وهذه الكلمة نفي وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى جبريل ومحمد عليهما السلام، فضلا عن غيرهم من الأولياء والصالحين، وهذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا (السر والولاية)! والإله معناه[5] الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير، والشيخ، والدرويش، والولي، وذلك أنهم

---

[1] وساطة النبي صلى الله عليه وسلم إنما تكون في حياته فقط وبتبليغ الرسالة حسب

[2] نسله وأولاده

[3] رواه عن أبي سعيد البزار رقم (٧) وعن أبي موسى أحمد (٤/٤١١) وفيهما ضعف وفي الباب عن أنس وعن جابر وصححه الألباني في (صحيح الجامع)(٦٣٠٩)

[4] رواه مسلم (٢٣) وأحمد (٣/٤٧٢) والطبراني في الكبير (٨١٩٠) عن طارق الأشجعي رضي الله عنه.

[5] عندهم !!

يظنون أن الله تعالى جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله تعالى، فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط هم الذين يسميهم الأولون الآلهة !!

والواسطة هي الإله، فقول المؤمن: لا إله إلا الله إبطال للوسائط، وغالب الذين غلوا في تعظيم الأولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت من السادة، قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد، والطواف بقبورهم، وذبح القرابين لهم، وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم آلهة.

واعلم أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالها عالما بمعناها، ومعتقدا إياها فقد دخل في الإسلام، وصار من أهل دار السلام: الجنة، وأما من قال: لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا رب إلا الله، أو لا موجود إلا الله، أو الله موجود أو نحو ذلك فلا يكون مسلما، ولا يكون من أهل دار السلام وهذه الكلمات وإن كانت كلمات حقة، ولكن يشترك في القول بها سائر الناس من المشركين والمجوس والنصارى واليهود وغيرهم سوى الدهرية المادية [1] كما يشهد القرآن بذلك.

فقد ثبت بهذا التحقيق أن الذكر النافع المنجي من عذاب الله تعالى إنما هو: لا إله إلا الله[2]، ولهذا قال رسول الله ﷺ : (أفضل الذكر لا إله إلا الله) [3] فما يتداوله العوام، ومن يدعي العلم والدين من الطغام [4]، من قولهم: الله موجود، أو: لا رب إلا الله، أو: لا خالق إلا الله، أو نحو ذلك، فليس من خصائص دين الإسلام، ولا

---

[1] وهم الملاحدة.

[2] فيه رد على من يجيز الذكر بالاسم المفرد (الله ، الله) مثل الشيخ سعيد حوى في كتابه (تربيتنا الروحية) ص(١١٤) وانظر لزاما (العبودية) ص(١٥٨-١٥٩) لشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ، وسيأتي للمصنف زيادة بيان ص(٥٩) .

[3] أخرجه النسائي في (عمل اليوم والليلة) كما في (تحفة الأشراف) (١٩٠/٢) والترمذي (٣٣٨٣) وابن ماجه (٣٨٠٠) والخرائطي في (فضيلة الشكر) (٧) وابن حبان (٢٣٢٦ - موارد) والحاكم (٥٠٣/١) وابن عبد البر في (التمهيد) (٤٢/٦-٤٣) والبغوي في (شرح السنة) (٤٩/٥)، وأخرجه بلفظ : (افضل الدعاء..) ابن أبي الدنيا في (كتاب الشكر) (١٠٣) والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص(١٠٥) وهو حديث حسن. سيأتي إنشاء الله وهو الحديث التاسع والعشرون.

[4] أرذال الناس وأوغادهم.

من خصائص المسلمين، بل يشترك فيه المشركون واليهود والنصارى والمجوس، فتنبه وتدبر ولا تكن أعمى وأصم تقلد كل ناعق وناهق !

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان والتوحيد وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال الله تعالى في سورة يونس﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله﴾ كما فصلت وبينت هذه المسألة حق التفصيل والتبيين في كتابي (أوضح البرهان في تفسير أم القرآن) فتنبه، فإن هذه المسألة عظيمة مهمة جدا، وهي: أن تعلم أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرم دماءهم وأموالهم، وسببه أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وأنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد أشرك، ومن نذر لغيره فقد أشرك، ومن حلف بغيره فقد أشرك.

فالله الله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره، وأسه ورأسه، ألا وهو شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، واكفروا بالطواغيت وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم فإن الحب في الله، والبغض في الله من الإيمان، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

ولا شك أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الإيمان بالله والكفر بالطاغوت:﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ {النحل٣٦}:﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾{النساء٦٠}

فصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم، ومعنى الإيمان بالله أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص كل أنواع العبادة لله وحده، وتنفيها عن كل معبود سواه،

والطاغوت عام في كل أنواع العبادة، فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبـــادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والعبـادة: الإطاعة: ﴿ ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبيـــن ﴾ كما في سورة {يس ٦٠} وكذا في سورة {مريم٤٤} قال إبراهيم صلى الله عليه وســـلم لأبيه: ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾.

فالإنسان لا يكون مؤمنا بالله إلا بعد الكفر بالطاغوت لقوله تعالى:﴿ فمـــن يكفــر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ {البقرة٢٥٦}. انتهى كلامه رحمه الله.

الحديث الثامن

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها أثقل من السموات والأرض ﴾

عَنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحاً ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةَ قَالَ لابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلهَ إِلاَّ الله، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْع وَالأَرْضِينَ السَّبْعِ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوَضِعَتْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِينَ السَّبْعِ كُنَّ حَلَقَةٍ مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّها صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ. وأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ) قَالَ: قُلْتُ: أَوْ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الشِّرْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ: أَيكُونَ لأَحَدِناَ نِعْلاَنِ حَسَنَتَانِ لَهُماَ شِرَا كَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: (لاَ) قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لأَحَدِناَ أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ: (لاَ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ: (سَفْهُ الْحَقِّ وَغَمصُ النَّاس). [1]

ترجمة الصحابي : انظر الحديث السابع تقدمت ترجمته.

---

[1] أخرجه أحمد ٢/١٦٩-١٧٠-٢٢٥ ، والبخاري في (الأدب المفرد)(٥٤٨)، والبيهقي في (الأسماء)(٧٩ هندية)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(١٣٤) وقال عنه: من طريق الصقعب ابن زهير عن زيد بن أسلم قال: حماد أظنه عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة الديباج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال يريد أن يضع كل فارس بن فارس ويرفع كل راع بن راع. قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع جبته وقال: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ثم قال: فنكره . وقلت: هذا سند صحيح . وقال الهيثمي (٤/٢٢٠): رواه أحمد والطبراني بنحوه، وزاد في رواية: (وأوصيك بالتسبيح فإنها عبادة الخلق وبالتكبير). ورواه البزار من حديث ابن عمر، ورجال احمد ثقات .

غريب الحديث :

(مبهمه): أي محرمة مغلقة كما يدل عليه السياق. ولم يورد هذه اللفظة من الحديث ابن الأثير في (النهاية) ولا الشيخ محمد طاهر الهندي في (مجمع بحار الأنــوار) وهي من شرطهما.

(قصمتهن): وفي رواية(فصمتهن) بالفاء. قال ابن الأثير: القصــم كســر الشــيء وإبانته، وبالفاء كسره من غير إبانة.

قلت: فهو بالفاء أليق بالمعنى. والله أعلم .

(سفه الحق): أي جهله، والاستخفاف به، وأن لا يراه على مــا هــو عليــه مــن الرجحان والرزانة. وفي حديث لمسلم: (بطر الحق). والمعنى واحد .

(غمص الناس): أي احتقارهم والطعن فيهم والاستخفاف بهم وفي الحديث الآخـر: (غمط الناس) والمعنى واحد أيضا. [1]

قوله: (كفة): هو بكسر الكاف وتشديد الفاء، أي كفة الميزان.

قوله: (رجحت بهن لا إله إلا الله):وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله الذي هو أفضل الأعمال، وأساس الملة والدين. فمن قالها بـــإخلاص ويقيــن، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها، واستقام على ذلك، فهذه الحســنة لا يوازنــها شيء، كما قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهـم يحزنون﴾[الأحقاف١٣] ودل الحديث على (أن لا إله إلا الله) أفضل الذكر. كحديــث عبد الله بن عمر مرفوعا: (خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون مــن قبلي: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شــيء قدير) رواه احمد والترمذي. [2]

---

[1] السلسلة الصحيحة(٢٠٩/١)(١٣٤)

[2] انظر فتح المجيد ص(٦٤)

من فوائد الحديث :

١. مشروعية الوصية عند الوفاة .

٢. فضيلة التهليل والتسبيح، وأنها سبب رزق الخلق .

٣. وأن الميزان يوم القيامة حق ثابت وله كفتان، وهو من عقائد أهل السنة خلافا للمعتزلة وأتباعهم في العصر الحاضر ممن لا يعتقد ما ثبت من العقائد في الأحاديث الصحيحة، بزعم أنها أخبار آحاد لا تفيد اليقين .

٤. وأن الأرضين سبع كالسموات. وفيه أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما....ويشهد لها قول الله تبارك وتعالى﴿ خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾{الطلاق١٢} أي في الخلق والعدد. فلا تلتفت إلى من يفسرها بما يؤول إلى نفي المثلية في العدد أيضا اغترارا بما وصل إليه علم الأوربيين من الرقي وأنهم لا يعلمون سبع أراضين! مع أنهم لا يعلمون سبع سموات أيضا! أفننكر كلام الله وكلام رسوله بجهل الأوربيين وغيرهم مع اعترافهم أنهم كلما ازدادوا علما بالكون ازدادوا علما بجهلهم به، وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾.

٥. أن التجمل باللباس الحسن ليس من الكبر في شيء. بل هو أمر مشروع لأن الله جميل يحب الجمال كما قال عليه السلام بمثل هذه المناسبة، على ما رواه مسلم في(صحيحه).

٦. أن الكبر الذي قرن بالشرك والذي لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه إنما هو الكبر على الحق ورفضه بعد تبينه، والطعن في الناس الأبرياء بغير حق .

فيحذر المسلم أن يتصف بشيء من مثل هذا الكبر كما يحذر أن يتصف بشيء من الشرك الذي يخلد صاحبه في النار.[1]

---

[1] السلسلة الصحيحة (٢١٠/١)

الحديث التاسع

﴿ فضل كلمة التوحيد من حققها لا يحجب عن الجنة ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ أَبِي سَعِيدٍ إلْخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ شَكَّ الرَّاوِي، وَلاَ يَضُرُّ الشَّكَ فِي عَيْنِ الصَّحَابِي، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عُدُولٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لاَ يَلْقَى بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ) وَفِي رِوَايَة(...غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِماَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ) .

هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم(٢٧) في الإيمان ــ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة .

ترجمة الصحابي: أبو هريرة انظر الحديث السادس تقدمت ترجمته. وأبي سعيد الخدري ستأتي ترجمته في الحديث السادس والعشرون.

الحديث العاشر

﴿ فضل كلمة التوحيد لمن قالها مجتنبا الكبائر أنها تفضي إلى العرش ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَا قَالَ عَبْد لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ قَطُّ مُخْلِصاً، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرِ) [1]

ترجمة الصحابي: تقدمت ترجمته، أنظر الحديث السادس .

شرح الحديث العاشر

الإخلاص في كلمة التوحيد:

وقالت طائفة: تلك النصوص المطلقة قد جائت مقيدة في أحاديث أخر، ففي بعضها: (من قال لا إله إلا الله مخلصاً) وفي بعضها: (مستيقناً) وفي بعضها: (يصدق قلبه لسانه) وفي بعضها: (يقولها حقاً من قلبه) وفي بعضها: (قد ذل بها لسانه، واطمأن بها قلبه).

وهذا كله إشارة إلى عمل القلب، وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بقول: لا إله إلا الله أن لا يأله القلب غير الله حباً ورجاءً، وخوفاً، وتوكلاً واستعانة، وخضوعاً وإنابة، وطلباً. وتحققه بأن محمداً رسول الله ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ .

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٥٩٠) في الدعوات - باب دعاء أم سلمة رقم ١٢٧، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢٤٦-٢٤٧) وحسنه الألباني في ص/الجامع (٥٦٤٨)

وقد جاء هذا المعنى مرفوعا إلى النبي ﷺ صريحا أنه قال: (من قال: لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة). قيل: ما إخلاصها يا رسول الله ؟!: قال: (أن تحجزك عن كل ما حرم الله عليك). [1]

وهذا يروى من حديث أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، ولكن إسنادهما لا يصح. وجاء أيضا من مراسيل الحسن نحوه.

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد في إطلاق الشرك على الرياء، وعلى الحالف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوكل وتفرد الله بالنفع والضر: كالطيرة، والرقى المكروهة، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه، قادح في تمام التوحيد وكماله.

ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس بما هو كفر وشرك، كقتال المسلم، ومن أتى حائضا، أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملة بالكلية.

---

[1] أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٦٤/١٢ عن أنس . قال الهيثمي في المجمع ٢٣/١ أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير ، إلا أنه قال في الكبير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إخلاصه أن تحجزه عما حرم الله عليه) وفي إسناده محمد بن عبدالرحمن بن عزوان وهو وضاع.

ولهذا قال السلف: كفر دون كفر، وشرك دون شرك وقد ورد إطلاق الإلـه على الهوى المتبع، قال تعالى:﴿ أفرأيت من اتخذ إله هواه ﴾ {الجاثية٢٣} وقال الحسن: هو الذي لا يهوى شيئا إلا ركبه.

وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئا ركبه، وكلما اشتهى شيئا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى.

وروي من حديث أبي أمامه مرفوعا بإسناد ضعيف: (ما تحت ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع).[١]

وفي حديث أخر: (لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم، وقيل لهم: كذبتم).[٢]

ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش).[٣]

طاعة الشيطان تقدح في توحيد الرحمن:

ويدل عليه أيضا أن الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصية عبادة للشيطان، كما قال تعالى: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾{يس٦٠} وقال حاكيا عن خليله إبراهيم أنه قال لأبيه: ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾ {مريم٤٤} فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن، وهم الذين قال فيهم: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾{الحجرات٤٢} فهم الذين حققوا قول: (لا إله إلا الله)، وأخلصوا في قولها، وصدقوا قولهم بفعلهم، فلم

---

[١] عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٠/٦ إلى الطبراني

[٢] أخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظ قريب منه (٤٠٣٤) ، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٢٧٤) ، والهندي في كنز العمال (٢٢١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٠/٧ رواه البزار وفيه عبدالله بن محمد بن عجلان وهو ضعيف جدا . وذكر الهيثمي رواية لهذا الحديث من طريق آخر بلفظ قريب منه وقال : رواه البزار بإسناد حسن

[٣] أخرجه البخاري ٢٢٣/٣ في الجهاد والسير – باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، وابن ماجه (٤١٣٦) في الزهد – باب في المكثرين (٤١٣٦)

يلتفتوا إلى غير الله، وأخلصوا في قولها، وصدقوا قولهم بفعلهم، فلم يلتفتوا إلى غير الله، محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا، وهم الذين صدقوا في قول: (لا إله إلا الله) وهم عباد الله حقا.

فأما من قال (لا إله إلا الله) بلسانه، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى، ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ {القصص٥٠} ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾.

فيا هذا كن عبدالله لا عبد الهوى، يهوي بصاحبه في النار:﴿ أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾{يوسف٣٩} (تعس عبد الدرهم ! تعس عبد الدينار) ! والله ما ينجوا غدا من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده، ولم يلتفت معه إلى شيء من الأغيار.

من علم أن إلهه ومعبوده فرد، فليفرده بالعبودية ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾{الكهف١١٠}.

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه، على رأس جبل، فقال في كلامه: لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فردا بفرد، فانزعج واضطرب، حتى رأى أصحابه أن الصخور قد تدكدكت، وبقي على ذلك ساعات، فلما أفاق فكأنه نشر من قبر.

قوله: (لا إله إلا الله) تقتضي أن لا يحب سواه، فإن الإله هو الذي يطاع، محبة وخوفا ورجاء.ومن تمام محبته محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئا مما يكره الله، أو كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل توحيده ولا صدقه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه. قال تعالى: ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ {محمد ٢٨} [1] انتهى كلامه رحمه الله.

---

[1] كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي ص (٤٧ – ٥٩)

الحديث الحادي عشر

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها تحرم مال ودم المسلم ﴾

عَنْ طَارِقِ الْأَشْجَعِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دَونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ).
وفي رواية: (مَنْ وَحَدَّ الله) وذكر مثله .[1]

ترجمة الصحابي: اسمه طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي، والد أبي مالك الأشجعي، واسم أبي مالك سعد بن طارق، يعد في الكوفيين. مات في حدود الأربعين ومائة.
روي عنه ابنه أبومالك، في صحبه وسماعه خلاف.
أشيم: بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة، وفتح الياء تحتها نقطتان.[2]
قال مسلم: لم يروي عنه غير أبنه.[3]

شرح الحديث الحادي عشر

قوله: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله): اعلم أن النبيﷺ علق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين .
الأول: قول: (لا إله إلا الله) عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم.
والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف اللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من قولها والعمل بها .

---

[1] أخرجه مسلم (٢٣) في الإيمان – باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله
[2] جامع الأصول (١/٥٣٩)
[3] فتح المجيد ص (١٢٢)

وفيه معنى﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها﴾{البقرة٢٥٦}

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذالك، بل ولا كونه لا يدعوا إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما أجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع. [1]

قال الشيخ ابن عثيمين حفظه الله: هذا دليل على أنه لا يكفي مجرد التلفظ بلا إله إلا الله، بل لابد أن تكفر بعبادة من يعبد من دون الله، بل وتكفر أيضا بكل كفر، فمن يقول لا إله إلا الله، ويرى أن النصارى واليهود اليوم على دين صحيح فليس بمسلم، ومن يرى الأديان أفكارا يختار منها ما يريد فليس بمسلم، بل الأديان عقائد مرسومة من قبل الله عزوجل، يتمشي الناس عليها، ولهذا ينكر على بعض الناس في تعبير بقوله: الفكر الإسلامي، بل الواجب أن يقال: الدين الإسلامي، أو العقيدة الإسلامية، ولا بأس بقول المفكر الإسلامي ، لأنه وصف للشخص نفسه، لا للدين الذي هو عليه. [2]

قوله: (وحسابه على الله): أي الله تبارك وتعالى هو الذي يتولى حساب الذي يشهد بلسانه بهذه الشهادة، فإن كان صادقا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقا عذبه العذاب الأليم. وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد ولم يأت بما ينافيه ظاهرا والتزام شرائع الإسلام وجب الكف عنه. [3]

---

[1] فتح المجيد ص (١٢٢)

[2] القول المفيد (١/١٥٢)

[3] فتح المجيد ص (١٢٤)

المراد من كلمة لا إله إلا الله معناها لا مجرد لفظها:

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال كانوا يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتبرؤ مما يعبد من دون الله والكفر به، فإنه لما قال لهم: (قولوا: لا إله إلا الله) [1] قالوا:﴿ أجعل الآلهة إلـها واحدا، إن هذا لشيء عجاب﴾{ص ٥}

وقد عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم:﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾{يونس١٨} هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وقد قال الله تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾{آل عمران٦٤}الآية.

أمر الله نبيه أن يدعوا أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله، الذي دعا العرب وغيرهم إليه، والكلمة هي كلمة لا إله إلا الله، ففسرها بقوله: أن لا نعبد إلا الله، فقوله: ﴿ أن لا نعبد﴾ فيه معنى (لا إله) وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى ، و ﴿ إلا الله ﴾ هو المستثنى في كلمة التقوى والإخلاص ومثل هذه الآية كثير يبين أن الإلهية هي العبادة وأنه لا يصلح منها شيء لغير الله،﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ {الأسراء٢٣} وهذا توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل بأجمعهم، إذ قالوا لقومهم: ﴿ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ {المؤمنون٣٢} فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأسا، والبراءة منه وممن فعله ﴿ إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه

---

[1] وتتمته: (... تفلحوا)! رواه البخاري في (خلق أفعال العباد)(٨) وابن المبارك في (الزهد) (١١٦٤) وابن حبان (١٦٨٣ – موارد) والدارقطني (٣/٤٤) والحاكم (٢/٦١١) بسند حسن عن طارق بن عبدالله المحاربي، وورد أيضا عن ربيعة بن عباد، ومدرك، رضي الله عنهما.

إنني براء مما تعبدونه، إلا الذي فطرني﴾ {الزخرف٢٦-٢٧} و ﴿ لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ {الممتحنة٤} فأصل دين الإسلام إنما هو عبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك.

فمن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر، كدعاء الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذر والذبائح، فهذا مشرك شاء أم أبى. لأن التحقيق الحق أن المعنى الكلي الجامع لكل ما ذكر في تعريف العبادة، هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالأسباب المسخرة لنا، فيستطيع أن ينفع أو يضر من غير طريق الأسباب التي نفع أو يضر بها بعض الناس بعضا.

والإله المعبود هو صاحب هذا السلطان الغيبي، سواء له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم، وهو المعبود بحق، أو كان له بما يعتقد من قربه من الرب تعالى، وتأثيره في إرادته بحيث يفعل الرب لأجله، أو يمكنه من الفعل، وهذا هو المعبود الباطل، لأن الرب لا يشرك في فعله ولا في حكمه أحدا.

قيل للحسن البصري رحمه الله تعالى: إن ناسا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ قال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرائضها.

وغالب من يقول: لا إله إلا الله، إنما يقولها تقليدا، ولم تخالط بشاشة الإيمان قلبه، فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت، وفي القبور أمثال هؤلاء يقولون كما في الحديث الصحيح [1]: (سمعت الناس يقولون شيئا فقلته...) الحديث.

قال الحافظ زين الدين عبدالرحمن بن رجب: ومن تحقق {معنى} لا إله إلا الله في قلبه فعلامته أن لا يؤله القلب غير الله حبا ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة

---

[1] قطعة من حديث البراء بن عازب الطويل، أخرجه أبو داود (٢/٢٨١) والحاكم (١/٣٧) والطيالسي (٧٥٣) وأحمد (٤/٢٨٧-٢٨٨) والآجري في (الشريعة) (٣٦٣) وهو حديث صحيح.

وخضوعا وإنابة وطلبا، وتحققه بأن محمدا رسول الله ﷺ أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمدﷺ ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال: (من قال: لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة، قيل: ما إخلاصها يا رسول الله ؟ قال: (أن تحجزك عما حرم الله عليك).

ولهذا قد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع قال الله تعالى: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ {الجاثية٢٣} ولهذا قد أطلق الشرك على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس أو طاعة غير الله أو نحو ذلك، وقد ورد: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم) [1] فصار الدينار والدرهم معبوده وإلهه.

والذين حققوا قول: لا إله إلا الله فهم عباد الرحمن الذين قال الله فيهم:﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ {الحجر٤٢} اللهم اجعلنا منهم بفضلك ومنك.

اعلم أن المشركين إنما قصدهم تعظيم الله تعالى، وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الرب جل جلاله، وإنما قصده تعظيمه بحسب زعمه وقال: إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدخلني عليه فهو المقصود، وهذه وسائل وشفعاء. [2]

---

[1] رواه البخاري (٦/٨١) وابن ماجه (٤١٣٥) والبغوي (٤٠٥٩) عن أبي هريرة .

[2] مفتاح الجنة ص (٧١ - ٧٦)

الحديث الثاني عشر و الثالث عشر والرابع عشر

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها تعصم دم قائلها ﴾

عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وأَنِّي رَسُولُ الله، إلاَّ بإِحْدى ثَلاَثٍ: الثَّيْبُ الزَّان، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ).

وفي رواية: (والَّذِي لاَ إِلهَ غَيْرُه، لاَ يَحِلُّ دَمُ رَجُلٌ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وأَنِّي رَسُولُ الله، إِلاَّ ثَلاَثَةُ نفرٍ: التَّارِكُ الإِسْلاَمَ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ أو الْجَمَاعَةَ (شك فيه أحمد)، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والنَّفْسُ بِالنَّفْسِ). [1]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، إِلاَّ بإِحْدَى ثَلاَث: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، فَإِنَّهُ يُرْجَمُ، ورَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِباً للهِ ورَسُولِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ أَو يُصلَّبُ، أو يُنْفَى مِنَ الأَرْضِ، أَو يَقْتُلُ نَفْساً، فَيُقْتَلُ بِها).

وفي رواية للنسائي عَنْ عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةَ: أَما عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، إلاَّ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَو كَفَرَ بَعْدَ إِسلاَمِهِ، أَوِ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ). [2]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، وعَبْدِ الله بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالاَ: كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ، وكُنَّا إِذَا دَخَلْنَا مَدْخَلاً نَسْمَعُ كَلاَمَ مَنْ بِالْبَلاَطِ، فَدَخَلَ عُثْمَانُ يَوْماً، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: إِنَّهُم لَيَتَوَاعَدُونِي بِالْقَتْلِ، قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمُ الله، قَالَ: فَلِمَ يَقْتُلونِي ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بإِحْدَى ثَلاَثٍ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ، أَو زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أو قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ) فَوَالله مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ

---

[1] أخرجه البخاري ١٢/١٧٦ في الديات – باب قول الله تعالى: (النفس بالنفس ، والعين بالعين)، ومسلم (١٦٧٦) في القسامة – باب ما يباح به دم المسلم ، وأبوداود (٤٣٥٢) في الحدود – باب الحكم فيمن ارتد ، والترمذي (١٤٠٢) في الديات – باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، والنسائي ٧/٩٠ – ٩١ في تحريم الدم – باب ذكر ما يحل به دم المسلم ، وفي القسامة – باب القود.

[2] أخرجه أبو داود (٤٣٥٣) في الحدود – باب الحكم فيمن ارتد، والنسائي ٧/٩١ في تحريم الدم – باب تعظيم الدم ، وصححه الألباني في ص/ النسائي (٤٠٢٨) (٤٠٢٩).

وَلاَ إِسْلاَم، وَلاَ تَمَنَيَّتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلاً مُنْذُ هَدَانِـــيَ الله، وَلاَ قَتَلْـتُ نَفْسـاً، فَلِـمَ يَقْتُلُونَنِي ؟! [1]

ترجمة الصحابي: عبد الله بن مسعود: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بـن غافل بن شمخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحار بن تميم بن سـعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر الهذلي، وقيل: هو عبد الله بن مسعود بـن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة، وقيل في نسبه غير ذلك، وهو حليف بني زهرة، وكان أبوه مسعود قد حالف في الجاهلية عبد الله بن الحارث بـن زهـرة، وكان إسلام عبدالله قديما في أول الإسلام، قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وقبـل عمر بزمان، وقيل: كان سادسا في الإسلام، ثم ضمه إليه رسول الله ﷺ ، فكـان من خواصه، و كان صاحب سر رسول الله ﷺ ، وسواكه، ونعليه، وطهوره فـي السفر.

هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا، وما بعدها من المشاهد، وصلى إلى القبلتين، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وقال رسول الله ﷺ : (رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد) وكان يشبه بـالنبي ﷺ في سمته، ودله، وهديه. وكان خفيف اللحم، قصيرا شديد الادمة، نحيفا، يكـاد طوال الرجال يوازيه جالسا، ولي القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر، وصدر مـن خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة، فمات بها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بـالبقيع، وله بضع وستون سنه . روى عنه أبو بكر وعمر، وعثمان، وعلي، ومن بعدهـم من الصحابة والتابعين. [2]

---

[1] أخرجه النسائي ٩٢/٧ في تحريم الدم – باب ذكر ما يحل به دم المسلم ، والترمذي (٢١٥٩) فـي الفتـن – باب ما جاء لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث، وأبو داود (٤٥٠٢) في الديات – باب الإمام يأمر بالعفو فـي الدم ، وصححه الألباني في ص/النسائي (٤٠٣١) ، وفي ابن ماجه (٢٥٣٣)

[2] جامع الأصول (٥٨٣/٢)

ترجمة الصحابي : عثمان بن عفان(ذو النورين) : هو أمير المؤمنين : أبو عبد الله وأبو عمرو، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب الأموي القرشي، يقال: أنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولدت له رقية بنت النبي ﷺ، عبد الله اكتنى به، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلمت. وكان إسلام عثمان في أول الإسلام على يد أبي بكر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، ولم يشهد بدرا، لأنه تخلف بمرض رقية بنت رسول الله ﷺ، وضرب له النبي ﷺ فيها بسهم، ولم يشهد بالحديبية بيعة الرضوان، لان النبي ﷺ كان بعثه إلى مكة في أمر الصلح، فلما كانت البيعة ضرب النبي ﷺ بيده على يده وقال: وهذه لعثمان . وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ (رقيه وأم كلثوم).

كان أبيض ربعه، وقيل أسمر، رقيق البشرة، حسن الوجه، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، عظيم اللحية يصفرها .

استخلف أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين، وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين وقيل: لثلاث عشرة خلت منه، وقيل: لثلاث بقين.

قتله الأسود التجيبي من أهل مصر، وقيل غيره. ودفن ليلة السبت بالبقيع، وقيل: ثمان وثمانون، وقيل تسعون.

وصلى عليه حكيم بن حزام، وقيل: الزبير بن العوام، وقيل: جبير بن مطعم، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا أياما .

يلقى آباء النبي ﷺ في عبد مناف .

روى عنه ابن الزبير، وأنس بن مالك، وزيد بن خالد الجهني، وأبان ابنه، وحمران مولاه، ومروان بن الحكم، وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم. روى عن النبي عليه السلام(١٤٦) حديثا. [١]

[١] (انظر جامع الأصول ١٢٥/١)

ترجمة أم المؤمنين: هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان أبي قحافة التيمي، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس، من بني مالك بن كنانة، كانت مسماة على جبير بن مطعم، فخطبها النبيﷺ ، وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث، ولها ست سنين، وقيل غير ذلك وأعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثماني عشر شهرا ولها تسع سنين، وقيل: دخل بها بالمدينة بعد سبعة من مقدمه، وبقيت معه تسع سنين، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها، واستأذنت رسول الله ﷺ . في الكنية، فقال لها: تكني بابن أختك عبدالله بن الزبير، وكانت فقيهة، عالمة، فصيحة، فاضلة، كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ . عارفة بأيام العرب وأشعارها. روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين, وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن ليلا، فدفنت بالبقيع، وصلى عليها أبوهريرة، وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي سفيان. (١)

شرح الأحاديث

قوله (لا يحل): ظاهره إثبات إباحة قتل من استثنى، وهو كذلك بالنسبة لتحريم قتل غيرهم، وإن كان قتل من أبيح قتله منهم واجبا في الحكم.
قوله (دم امرئ مسلم): المراد لا يحل إراقة دمه أي كله وهو كناية عن قتله ولو لم يرق دمه.
قوله (يشهد أن لا إله إلا الله): هي صفة ثانية ذكرت لبيان أن المراد بالمسلم هو الآتي بالشهادتين أو هي حال مقيدة للموصوف إشعارا بأن الشهادة هي العمدة في حقن الدم. وهذا رجحه الطيبي، واستشهد بحديث أسامة كيف تصنع بلا إله إلا الله.
قوله (إلا بإحدى ثلاث): أي خصال ثلاث ووقع في رواية الثوري (إلا ثلاثة نفر).

---

[١] (جامع الأصول ١/٩٧)

قوله (النفس بالنفس): أي من قتل عمداً بغير حق، قتل بشرطه.

قوله (الثيب الزاني): أي فيحل قتله بالرجم.

قوله (المفارق لدينه التارك للجماعة): المراد بالجماعة جماعة المسلمين، أي فارقهم أو تركهم بالارتداد، فهي صفة للتارك أو المفارق لا صفة مستقلة وإلا لكانت الخصال أربعاً، وهو كقوله قبل ذلك (مسلم يشهد أن لا إله إلا الله) فإنها مفسرة لقوله مسلم وليست قيداً فيه، إذ لا يكون مسلماً إلا بذلك.

ويؤيد ما قبله أنه وقع في حديث عثمان (أو يكفر بعد إسلامه) أخرجه النسائي صحيح وفي لفظ له صحيح أيضاً (ارتد بعد إسلامه)....

قال ابن دقيق العيد: الردة سبب لإباحة دم المسلم بالإجماع في الرجل وأما المرأة ففيها خلاف وقد استدل بهذا الحديث للجمهور في أن حكمها حكم الرجل لاستواء حكمهما في الزنا....

قال النووي: قوله (التارك لدينه) عام في كل من ارتد بأي ردة كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام. وقوله (المفارق للجماعة) يتناول كل خارج عن الجماعة ببدعة أو نفي إجماع كالراوافض والخوارج وغيرهم...

قال القرطبي في المفهم: ظاهر قوله (المفارق للجماعة) أنه نعت للتارك لدينه، لأنه إذا ارتد فارق جماعة المسلمين، غير أنه يلتحق به كل من خرج عن جماعة المسلمين وإن لم يرتد. كمن يمتنع عن إقامة الحد عليه إذا وجب، ويقتل على ذلك كأهل البغي، وقطاع الطرق والمحاربين من الخوارج وغيرهم. فيتناولهم لفظ المفارق للجماعة بطريق العموم. ولو لم يكن كذلك أو لم يصح الحصر لأنه يلزم أن ينفي من ذكروا دمه حلال. فلا يصح الحصر وكلام الشارع منزه عن ذلك، فدل على أن وصف المفارقة للجماعة يعم جميع هؤلاء.[١]

---

[١] (فتح الباري ١٢/١٦٩)

الحديث الخامس عشر و السادس عشر و السابع عشر

﴿ من فضل التوحيد أنه لا عصمة للدم والمال إلا بنطق كلمة التوحيد ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ).

وفي رواية: (حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَيُؤْمِنُوا بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذاَ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَائَهُمْ وأَمْوَلَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله). [1]

ترجمة الصحابي: تقدمت ترجمته انظر الحديث السادس

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذاَ فعلوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُم، إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله). [2]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثاني تقدمت ترجمته.

---

[1] أخرجه البخاري٣/٢١١ في أول الزكاة، و١٢/٢٣٣ في استتابة المرتدين - باب قتل من أبي قبول الفرائض، ومسلم (٢١) في الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والترمذي (٢٦١٠) في الإيمان الباب الأول ، والنسائي ٥/١٤ في الزكاة - باب مانع الزكاة ، وأبو داود (٢٦٤٠) في الجهاد - باب على ما يقاتل المشركون .

[2] أخرجه البخاري ١/٧٠،٧١ في الإيمان - باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة)، ومسلم (٢٢) في الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ولم يذكر مسلم (إلا بحق الإسلام) .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاس حَتَّى يقُولُوا: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، فَإذَا شَهِدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَاستَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا، وَصَلّوُا صَلاَتَنَا، حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وأَمْوَالُهم إلاَّ بِحَقِّها) .

زاد في رواية: (وحِسَابُهُمْ عَلَى الله) .

وفي أخرى قال: سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سياه أَنَساً: مَا يُحَرِّمُ دمَ الْعَبْدِ ومَاله ؟ قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله ، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمِ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ .موقوف. [1]

ترجمة الصحابي: تقدمت ترجمته: انظر الحديث الرابع .

ما روي بمعنى هذا الحديث:

وقد روي في معنى هذه الأحاديث الثلاثة أحاديث أخرى منها حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه احمد ٥/٢٤٦ من طريق أبي النصر، وابن ماجه(٧٢) من طريق محمد بن يوسف، وابن نصر في(تعظيم قدر الصلاة)(٧)، عن روح بن عبادة، والدار قطني ١/٢٣٢ ـ٢٣٣ من طريق منصور بن أبي مزاحم، أربعتهم، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ. وحسن البوصيري إسناده في(مصباح الزجاجة) ورقة(٦)، وصححه الألباني في ص/ابن ماجه (٧٢) .

وخرجه مسلم أيضا من حديث جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بلفظ حديث أبي هريرة،الأول وزاد في آخره: ثم قرأ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾{الغاشية٢١}

وهذا الحديث في(المسند) عند احمد ٣/٣٠٠ .

---

[1] أخرجه البخاري ١/٤١٧ في الصلاة – باب فضل استقبال القبلة، والترمذي (٢٦٠٩) في الإيمان – الباب الأول ، وأبو داود (٢٦٤١) في الجهاد – باب على ما يقاتل المشركون، والنسائي ٨/١٠٩ في الإيمان – باب على ما يقاتل الناس و٧/٧٥،٧٦ في كتاب تحريم الدم.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ يَومَ خيبَرَ (لأُعْطِيَنَّ هذه الرَّايةَ رجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورسُولَهُ. يَفتَحُ اللهُ على يديهِ) قَالَ عُمرُ بنُ الخطَّاب: مَا أَحْبَبْتُ الإمَارَةَ إلاَّ يومئذٍ. قال فتَسَاوَرْتُ لَهَا [1] رَجَاءَ أنْ أُدْعَى لها. قال فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عليَّ بْنَ أَبِي طَالب. فَأَعْطَاهُ إيَّاهَا. وقال (امْشِ. ولاَ تَلْتَفِتْ. حتَّى يَفْتَحَ اللهُ عليكَ). قال فَسارَ عليٌّ شيئاً ثُمَّ وقَفَ ولم يَلتَفِتْ. فَصرَخَ: يا رَسُولَ اللهِ ! على ماذا أُقَاتِلُ الناسَ ؟ قال (قَاتِلْهُمْ حتَّى يَشْهدُوا أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ. فَإذا فَعلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءهُم وأَمْوَالَهُم. إلاَّ بِحقِّها. وحِسَابُهُم على اللهِ).

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر (لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه. يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ. ويُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ). [2]

شرح الأحاديث

هذه الأحاديث لها مدلول واحد وهو أن من نطق الشهادتين فقد عصم نفسه وما له وحسابه على الله .

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله في قوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان.

وقال القاضي عياض: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: (لا إله إلا الله) تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركوا العرب وأهل الأوثان، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد، فلا يكتفي في عصمته بقول (لا إله إلا الله) إذا كان يقولها في كفره. انتهى ملخصا .

---

[1] (فتساورت لها) معناه تطاولت لها. أي حرصت عليها. أي أظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني.

[2] أخرجه البخاري ٥٧/٧ – ٥٨ في فضائل أصحاب النبي –ﷺ باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي الجهاد – باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، وباب فضل من أسلم على يديه رجل، وفي المغازي – باب غزوة خيبر، ومسلم (٢٤٠٥)(٢٤٠٦) في فضائل الصحابة – باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأحمد ١٥٩/٣

وقال النووي: لابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسولﷺ كما جاء في الرواية(ويؤمنوا بي وبما جئت به) .

وقال شيخ الإسلام،لما سئل عن قتال التتار فقال: كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلأ القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين ببعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم.

قال: فأيما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال أو الخمر، أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها، التي يكفر الواحد بجحودها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها، وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء .

قال: وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاء، بل هم خارجون في الإسلام. انتهى [١]

النطق بالشهادتين لا تكفي لعصمة المال والدم إذا أظهرت جماعة تركها لأركان الإسلام والإيمان :

قوله: (عصموا مني دماءهم وأموالهم) وقوله(حرمت علينا دماءهم وأموالهم): قال ابن رجب رحمه الله [٢]: يدل على أنه كان عند هذا القول مأمورا بالقتال، وبقتال من أبى الإسلام، وهذا كله بعد هجرته إلى المدينة، ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يرد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك، ويجعله مسلما، وقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال: لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف، واشتد نكيره عليه.

---

١ فتح المجيد ص، (١٢٣)

٢ جامع العلوم والحكم ٢٢٨/١

ولم يكن ﷺ يشترط على من جاءه يرد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة، بل قد روي أنه قبل من قوم الإسلام، واشترطوا أن لا يزكوا، ففي(مسند الإمام أحمد) عن جابر قال: اشترطت ثقيف على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأن رسول الله ﷺ قال: (سيصدقون ويجاهدون). [1]

وفيه أيضا عن نصر بن عاصم الليثي عن رجل منهم أنه أتى النبيﷺ ، فأسلم على أن لا يصلي إلا صلاتين، فقبل منه. [2]

واخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث، و قال: يصح الإسلام على الشرط الفاسد، ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها، واستدل أيضا بأن حكيم بن حزام قال: بايعت النبيﷺ على أن لا أخر إلا قائما. [3]

قال أحمد: معناه أن يسجد من غير ركوع. [4]

وخرج محمد بن نصر المروزي بإسناد ضعيف جدا عن أنس قال: لم يكن النبي ﷺ يقبل من أجابه إلى الإسلام إلا بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكانتا فريضتين على من أقر بمحمد ﷺ وبالإسلام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾[5]{المجادلة١٣} وهذا لا يثبت، وعلى تقدير ثبوته، فالمراد منه أنه لم يكن يقر أحدا دخل في الإسلام على ترك الصلاة والزكاة وهذا حق، فإنهﷺ أمر معاذا لما بعثه إلى اليمن أن يدعوهم أولا إلى الشهادتين،

---

[1] أخرجه احمد ٣٤١/٣ ، وفي سنده عبدالله بن لهيعة ، وهو ضعيف

[2] أخرجه احمد ٤٠٢/٣ ، والطيالسي (١٣٦٠)، والنسائي ٢٠٥/٢

[3] رواه احمد ٢٥/٣ و ٣٦٣ ، وإسناده صحيح على شرط مسلم

[4] وهذا أحد تأويلات ثلاثة ذكرها الطحاوي رحمه الله في (شرح مشكل الآثار) ١٩٥/١-١٩٦،

والتأويل الثاني : أن الخرور بالموت من حال القيام، ومن حال القعود إلى الأرض التي يخر إليها من القيام ، ومن القعود ، فأخبر أن ما بايع عليه رسول الله عليه السلام لا يموت إلا وهو قائم عليه وهو الإسلام ، يرد بقيامه ذلك القيام الذي هو العزم ، كما قال الله تعالى في أهل الكتاب : (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما) {آل عمران ٧٥} أي بالمطالبة لديه ، وطلب أخذه منه

والتأويل الثالث : أن مبايعته صلى الله عليه وسلم كانت على الموت ، وهي أشرف البيعات ، وهو الذي لا يجوز أن يبايع عليه غير رسول الله عليه السلام ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما غير موهوم منه زوال الحال التي ثبتت بيعته على مبايعته ، وغيره ليس كذلك

[5] رواه ابن نصر في (تعظيم قدر الصلاة) ٩٥/١ ، وفي سنده عروة بن مروان العرقي الرقي انظر ص(٥٣) قال الدار قطني: كان أميا ليس بالقوي ، وأبو العوام – واسمه عمران بن داود القطان صاحب أوهام.

وقال: (إن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم بالصلاة ثم الزكاة) ومراده أن من صار مسلما بدخوله في الإسلام أمر بعد ذلك بإقام الصلاة، ثم بإيتاء الزكاة، وكان من سأله عن الإسلام يذكر له مع الشهادتين بقية أركان الإسلام، كما قال لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإسلام، وكما قال للأعرابي الذي جاءه ثائر الرأس يسأل عن الإسلام.

وبهذا الذي قررناه يظهر الجمع بين ألفاظ أحاديث هذا الباب، ويتبين أن كلها حق، فإن كلمتي الشهادتين بمجردهما تعصم من أتى بهما، ويصير بذلك مسلما، فإذا دخل في الإسلام، فإن أقام الصلاة، واتى الزكاة، وقام بشرائع الإسلام، فله ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وإن أخل بشيء من هذه الأركان، فإن كانوا جماعة لهم منعة قوتلوا .

وقد ظن بعضهم أن معنى الحديث أن الكافر يقاتل حتى يأتي بالشهادتين، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، وجعلوا ذلك حجة على خطاب الكفار بالفروع، وفي هذا نظر، وسيرة النبي ﷺ في قتال الكفار تدل على خلاف هذا، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا عليا يوم خيبر، فأعطاه الراية وقال: (امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك) فسار علي شيئا، ثم وقف، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ فقال: (قاتلهم على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل) [1] فجعل مجرد الإجابة إلى الشهادتين عاصمة للنفوس والأموال إلا بحقها، ومن حقها الامتناع من الصلاة والزكاة بعد الدخول في الإسلام كما فهمة الصحابة رضي الله عنهم ومما يدل على قتال الجماعة الممتنعين من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة من القرآن قوله تعالى﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾{التوبة٥} وقوله تعالى﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾{التوبة١١} وقوله تعالى﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾{البقرة١٩٣} مع قوله تعالى(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾{البينة٥}

---

[1] رواه احمد (١٥٩/٣) ، البخاري (٦١٠)

وثبت أن، النبي ﷺ كان إذا غزا قوما لم يغز عليهم حتى يصبح فإن سمع أذانا وإلا أغار عليهم [1] مع احتمال أن يكونوا قد دخلوا في الإسلام. وكان يوصي سـرايـاه: (إن سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا، فلا تقتلوا أحدا) .

وقد بعث عيينة بن حصن [2] إلى قوم من بني العنبر، فأغار عليهم ولم يسمع أذانا، ثم ادعوا أنهم قد أسلموا قبل ذلك .

وبعث صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان كتابا فيه: (من محمد النبي إلـى أهـل عمان، سلام أما بعد: فأقروا بشهادة أن لا إلــه إلا الله، وأنـي رسـول الله، وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد، وإلا غزوتكم) خرجه البزار والطبراني وغيرهما. [3]

فهذا كله يدل على أنه كان يعتبر حال الداخلين في الإسلام، فإن أقـاموا الصـلاة، وآتوا الزكاة وإلا لم يمتنع عن قتالهم، وفي هذا وقع تناظر أبي بكر وعمر رضـي الله عنهما كما في(الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنة قـال: لمـا توفـي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر الصديق بعده، وكفر من كفر من العـرب، قـال عمر لأبى بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل النـاس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسـه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل) فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصـلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسـول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

فأبو بكر رضي الله عنه أخذ قتالهم من قوله: (إلا بحقه) فدل على أن قتال من أتـي بالشهادتين بحق جائز، ومن حقه أداء حق المال الواجب، وعمر رضي الله عنـه

---

[1] رواه احمد (٤/٢٢٦) ، أبو داود (٢٦٣٥) والترمذي (١٥٤٩) ، وفي سنده ابن عصام المزني، قـال ابـن المديني :لا يعرف، ومع ذلك فقد قال الترمذي : حسن ، وضعفه الألباني في ص/ أبو داود (٢٦٣٥).

[2] هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، قال ابن السكن : له صحبة، وكان من المؤلفة ، ولم تصـح له رواية، أسلم قبل الفتح، وشهدها وشهد حنينا والطائف، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني تميم، فسـبى بعض بني العنبر، ثم كان ممن ارتد في عهد أبي بكر، ومال إلى طلحة، فبايعه ، ثم عاد إلى الإسلام ، وكـان فيه جفاء سكان البوادي.(الإصابة)٣/٥٥-٥٦

[3] رواه البزار (٨٨٠) والطبراني في (الأوسط) كما في (مجمع البحرين) ورقة ٣/١

ظن أن مجرد الإتيان بالشهادتين يعصم الدم في الدنيا تمسكا بعموم أول الحديث كما ظن طائفة من الناس أن من أتى بالشهادتين امتنع من دخول النار في الآخرة تمسكا بعموم ألفاظ وردت، وليس الأمر على ذلك، ثم إن عمر رجع إلى موافقة أبي بكر رضي الله عنه .

وقد خرج النسائي.[1] قصة تناظر أبي بكر وعمر بزيادة: وهي أن أبا بكر قال لعمر: إنما قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة) وخرجه ابن خزيمة في(صحيحة).[2]

ولكن هذه الرواية أخطأ فيها عمران القطان إسنادا ومتنا، قاله أئمة الحفاظ، منهم علي بن المديني وأبو زرعة وأبو حاتم والترمذي والنسائي، ولم يكن هذا الحديث عن النبي ﷺ بهذا اللفظ عند أبي بكر ولا عمر، وإنما قال أبو بكر: والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وهذا أخذه – والله أعلم – من قوله في الحديث(إلا بحقها) وفي رواية: (إلا بحق الإسلام) فجعل من حق الإسلام إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، كما أن من حقه أن لا يرتكب الحدود، وجعل كل ذلك مما استثنى بقول: (إلا بحقها) .

وقوله: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، يدل على أن من ترك الصلاة، فإنه يقاتل لأنها حق البدن، فكذلك من ترك الزكاة التي هي حق المال .

وفي هذا إشارة إلى أن قتال تارك الصلاة أمر مجمع عليه، إنه جعله أصلا مقيسا عليه، وليس هو مذكورا في الحديث الذي احتج به عمر وإنما أخذ من قول: (إلا بحقها) فكذلك الزكاة لأنها من حقها، وكل ذلك من حقوق الإسلام .

ويستدل أيضا على القتال على ترك الصلاة بما في(صحيح مسلم) عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: (يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن أنكر، فقد برئ،

---

[1] أخرجه النسائي(٥/١٤)

[2] أخرجه ابن خزيمة (٢٢٤٧)

ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع) فقالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال: (لا ما صلوا). [1]

وحكم من ترك سائر أركان الإسلام أن يقاتلوا عليها كما يقاتلون على ترك الصلاة والزكاة.

وروى ابن شهاب عن حنظلة بن علي بن الأسقع أن أبا بكر الصديق بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يقاتل الناس على خمس، فمن ترك واحدة من الخمس، فقاتله عليها كما تقاتل على الخمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان .

وقال سعيد بن جبير: قال عمر بن الخطاب: لو أن الناس تركوا الحج لقاتلناهم عليه، كما نقاتلهم على الصلاة والزكاة. فهذا الكلام في قتال الطائفة الممتنعة عن شيء من هذه الواجبات.

وأما قتل الواحد الممتنع عنها، أكثر العلماء على أنه يقتل الممتنع من الصلاة، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي عبيد، وغيرهم، ويدل على ذلك ما في(الصحيحين) عن أبي سعيد الخدري أن خالد بن الوليد استأذن النبيﷺ في قتل رجل، فقال: (لا، لعله أن يكون يصلي)فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ : (إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم). [2]

وفي(مسند الإمام أحمد) عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلا من الأنصار حدثه أنه أتى النبي ﷺ فاستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فقال النبي ﷺ : (أليس يشهد أن لا إله إلا الله)؟ قال:بلى، ولا شهادة له، قال: (أليس يصلي)؟ قال: بلى، ولا صلاة له، قال: (أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم). [3]

وأما قتل الممتنع من أداء الزكاة، ففيه قولان لمن قال: يقتل الممتنع من فعل الصلاة:

---

[1] أخرجه مسلم (١٨٥٤) وأبو داود (٤٧٦٠)

[2] أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)(١٤٤)

[3] أخرجه أحمد (٤٣٢/٥ -٤٣٣) ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين

أحدهما: يقتل أيضا، وهو المشهور عن أحمد، ويستدل له بحديث ابن عمر هذا .

والثاني: لا يقتل، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد رواية.

وأما الصوم فقال مالك وأحمد في رواية عنه: يقتل بتركه، وقال الشافعي وأحمد في رواية: لا يقتل بذلك، ويستدل له بحديث ابن عمر وغيره مما في معناه، فإنه ليس في شيء ، ولهذا قال أحمد في رواية أبي طالب: الصوم لم يجئ فيه شيء قلت: قد روي عن ابن عباس مرفوعا وموقوفا: إن من ترك الشهادتين أو الصلاة أو الصيام، فهو كافر حلال الدم بخلاف الزكاة والحج. وقد سبق ذكره في شرح حديث(بني الإسلام على خمس) .

وأما الحج، فعن أحمد في القتل بتركه روايتان، وحمل بعض أصحابنا رواية قتله على من أخره عازما على تركه بالكلية، أو أخره وغلب على ظنه الموت في عامه، فأما إن أخره معتقدا أنه على التراخي كما يقوله كثير من العلماء، فلا قتل بذلك .

وقوله ﷺ : (إلا بحقها) وفي رواية: (إلا بحق الإسلام) قد سبق أن أبا بكر أدخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة، وأن من العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج أيضا .

ومن حقها ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرمات، وقد ورد تفسير حقها بذلك، خرجه الطبراني وابن جرير الطبري من حديث أنس عن النبيﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل) قيل: وما حقها؟ قال: (زنى بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفس، فيقتل بها) [1] ولعل آخره من قول أنس، وقد قيل: إن الصواب وقف الحديث كله عليه.

ويشهد لهذا ما في(الصحيحين) عن ابن مسعود عن النبيﷺ قال: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني،

---

[1] أورده الهيثمي في (المجمع) ١/٢٥ – ٢٦ ، وقال الطبراني في (الأوسط) ، وفيه عمرو بن هاشم البيروتي ، والأكثر على توثيقه .

والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) وسيأتي الكلام على هذا الحديث مستوفي عند ذكره في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقوله ﷺ (وحسابهم على الله عز وجل) يعنى أن الشهادتين مع إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة، فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقا، أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذبا، فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار. وقد تقدم أن في بعض الروايات في(صحيح مسلم): ثم تلا﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر. إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر. إن ألينا ايابهم. ثم إن علينا حسابهم﴾{الغاشيه٢١ -٢٦} والمعنى: إنما عليك تذكيرهم بالله، ودعوتهم اليه، ولست مسلطا على إدخال الإيمان في قلوبهم قهرا ولا مكلفا بذلك، ثم أخبر أن مرجع العباد كلهم إليه وحسابهم عليه .

وفي(مسند البراز) عن عياض الأنصاري، عن النبيﷺ قال: (إن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة، لها عند الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقا، أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبا حقنت ماله ودمه، ولقي الله غدا فحاسبه). [1]

وقد استدل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق وهو المنافق إذا أظهر العود إلى الاسلام، ولم ير قتله بمجرد ظهور نفاقه، كما كان النبي ﷺ يعامل المنافقين، ويجريهم على أحكام المسلمين في الظاهر مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن، وهذا قول الشافعي وأحمد في رواية عنه، وحكاه الخطابي عن أكثر العلماء، والله أعلم.انتهى كلام ابن رجب رحمه الله.

---

[1] أخرجه البزار (٤) عن عبدالوارث بن عبدالصمد ، عن أبيه ، عن عبيدة بن أبي رائطة ، عن عبدالملك بن عمير هكذا... وإسناده ضعيف راجع الإصابة (٧٥٥/٤)

الحديث الثامن عشر

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها تخرج صاحبها من النار بشفاعة أرحم الراحمين ﴾

عَنَ أَنسِ ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعةِ فَأَحْمَدُه بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ. ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً. فيقالُ لِي: يا مُحَمَّدُ ارفَعْ رَأْسَـك، وقُلْ يُسْمَعْ لك، وَسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ (أَوْ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ إِلَيكَ) ولكنْ، وعِزَّتِـي، وكِبرِيـائي، وَعَظَمَتِي، وجِبْرِيَائي، لأخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لاَ إله إِلاَّ اللهُ). [1]

قوله: (ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، قال ليس ذلك ولكن وعزتي وجلالـى... الخ).

معناه: لأتفضلن عليهم بإخراجهم من غير شفاعة كما جاء في الحديـث (شـفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الرحمين. [2]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الرابع تقدمت ترجمته.

شرح الأحاديث

أهل التوحيد لا يخلدون في النار وإن دخلوها:

وأحاديث هذا الباب نوعان:

أحدهما: ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة، أو لم يحجـب عنـها. وهـذا ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، وقد يدخل الجنـة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار.

---

[1] أخرجه البخاري ١٣/٣٩٥ – ٣٩٧ في التوحيد – باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبيـاء وغـيرهم، ومسلم (١٩٣) في الإيمان – باب وأدنى أهل الجنة منزلة فيها.

[2] (شرح مسلم ٦٥/٣)

الثاني: ما فيه أنه يحرم على النار، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها، أو على نار يخلد فيها أهلها، وهي ماعدا الدرك الأعلى، فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين. (١)

الإتيان بحق وشروط لا إله إلا الله:

وقال طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث: أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضى لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع. وهذا قول الحسن ووهب ابن منبه وهو الأظهر.

وقال الحسن للفرزدق وهويد فن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة. لكن إن لـ(لا إله إلا الله) شروطا، فإياك وقذف المحصنة.

وقيل للحسن: إن ناسا يقولون من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. (٢)

ومن حقها وشروطها صرف العبادة إلى الله عز وجل:

فالجامع لعبادة الله تعالى وحده إنما هو طاعته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، و أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى وحده: الدعاء والاستعانة والاستغاثة وذبح القربان والنذور والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة والتأله والركوع والسجود والخشوع والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله

---

[1] كتاب التوحيد ص (٣٧) لابن رجب الحنبلي.

[2] كتاب التوحيد ص (٣٩) لابن رجب الحنبلي.

غيره، والشرك في العبادة ينقض الإسلام، لقوله تعالى:﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾{النساء٤٨} الآية، و ﴿ من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار﴾{المائدة٧٢} ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فهذا كفر إجماعا. [١]

وقد روى الترمذي وأبو داود [٢] عن ثوبان رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان).

قال ابن حجر الهيتمي في كتابه (الزواجر)، والفقيه الحنفي في (تبيين المحارم): إن من أشرك في عبادة الله غيره أنه يكفر بالإجماع، ويقتل إن أصر على ذلك، كدعاء الأموات لجلب خير أو دفع ضر، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله). [٣]

وقد روى الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكان لقريش والمشركين شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها، ويذبحون لها، يقال لها: ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط ! فقال النبي ﷺ : (هذا كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) لتركبن سنن من كان قبلكم..) [٤] الحديث.

---

١ (انظر الدر النضيد للشوكاني)

٢ الترمذي (٢١٧٧) وأبو داود (٤٢٥٢) وإسناده صحيح.

٣ أخرجه أحمد (٢٩٣/١) والترمذي (٢٥١٦) وابن السني (٤٢٥) وسنده حسن ، وللحافظ ابن رجب رسالة في شرحه اسمها (تنوير المقباس..) قال بتحقيقها وتخريج أحاديثها ، الأخ محمد ناصر العجمي حفظه الله.

٤ أخرجه الترمذي (٢١٨٠) ، والشافعي (٢٣ – بدائع المنن) ، وعبدالرزاق (٢٠٧٦٣) ، والحميدي (٨٤٨) والطيالسي (١٣٤٦) ، وأحمد (٢١٨/٥) ، وابن أبي عاصم (٧٦) ، وابن جرير (٣١/٩– موارد) ، الطبراني في الكبير (٣٢٩٠) و(٣٢٩٤) بسند صحيح .

قال الإمام شهاب الدين عبدالرحمن الشامي المعروف بأبي شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث): قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله تعـالى: [1] فانظروا رحمكم الله تعالى أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمـون من شأنها ويرجون البراء والشفاء من قبلها، وينوطون[2] بها أسلحتهم، ويضربـون عليها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها.

فتأمل رحمك الله تعالى هذا الكلام، بأن ما تفعله العامة فـي زماننـا فـي العمـد والشجر والحجر والمواضع المخصوصة، إنه مثل فعل المشركين بـذات أنـواط، فتبين منه أن الشرك قد حدث في هذه الأمة من أزمنة مديدة، فيجب على كل مـن قدر على إزالته إزالته، فويل للعلماء والأمراء والقضاة القادرين على إزالته علـى سكوتهم.

واعلم أن الغلو في المشايخ منهي عنه، فكل من غلا في نبـي أو رجـل صـالح، وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرنـي، أو: أغثنـي، أو: ارزقني، أو: أنا في حسبك، أو نحوها، فكل هذا شرك وضـلال يسـتتاب وإلا قتل، فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليعبد وحده، ولا يجعل معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونـهم، أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى﴿هـؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾{يونس١٨}

فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعـاء اسـتغاثة، ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: (من حلف بغير الله فقد أشـرك)، ونـهى عـن تعظيم القبور، واتخاذها مساجد، لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان تعظيم القبـور، ولهذا اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن من سلم على النبيﷺ حين زار قـبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها، لأنه إنما يكون لأركان الكعبة، فلا يشـبه بيـت

[1] كتاب الحوادث والبدع.
[2] يعلقون

المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين، ورأسه الــذي لا يقبل الله عملا إلا به، وهذا هو معنى: لا إله إلا الله.

قال ابن القيم في (شرح المنازل) [١]: والشرك هو أن يتخذ من دون الله ندا يحبــه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويغضبــون لتنقــص آلهتهم ومعبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا تنقص أحد رب العالمين، وقد شاهدنا هذا نحن جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش، وهو لا ينكر ذلك، ويرى أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا هو الذي أنكــره الله تعــالى عليهم في القرآن وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، والقرآن مملوء مــن أمثــال هذا، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خلوا ولــم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن، كما قال عمر بــن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عــروة إذا نشــأ فــي الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وهذا لأنه لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه فوقع فيه وأقره وهو لا يعرف، قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنــه: فــلان لا يعرف الشر ؟ قال: (ذلك أحرى أن يقع فيه)، ومن أنواعه: طلــب الحوائــج مــن الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل الشرك في العالم ، فزاروهــم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد. [٢]

---

[١] وهو مدارج السالكين (١/٣٣٩ – ٣٤٤) .

[٢] مفتاح الجنة ص (٤٥ – ٥٠)

الحديث التاسع عشر

﴿ من قال كلمة التوحيد مخلصا من قلبه سعد بشفاعة النبي ﷺ ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَنْ أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أحد أولُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ الناسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث السادس تقدمت ترجمته.

شرح الحديث التاسع عشر

قوله: (أول منك): قال ابن حجر وقع في روايتنا برفع اللام ونصبها، فالرفع على الصفة لأحد أو البدل منه، والنصب على أنه مفعول ثاني لظننت .

قاله القاضي عياض. وقال أبو البقاء: على الحال ولا يصر كونه نكرة لأنها في سياق النفي كقولهم(ما كان أحد مثلك) وما في قوله(لما) موصولة من بيانية أو تبعيضية ــ وفيه فضل أبي هريرة وفضل الحرص على تحصيل العلم.

قوله: (من قال لا إله إلا الله): احترازا من الشرك، والمراد مع قوله محمد رسول الله. لكن قد يكتفي بالجزء الأول من كلمتي الشهادة، لأنه صار شعار لمجموعها .

قوله: (خالصا): احترازا من النفاق. ومعنى أفعل في قوله(اسعد) الفعل، لا أنها أفعل التفضيل أي سعيد الناس كقوله تعالى: (وأحسن مقيلا) ويحتمل أن يكون افعل التفضيل على بابها، وأن كل أحد يحصل له سعد بشفاعته. لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها، فانه ﷺ يشفع في الخلق لإراحتهم من هول الموقف .

---

[١] أخرجه البخاري ١٧٣/١ في العلم - باب الحرص على الحديث، وفي الرقاق باب صفة الجنة والنار.

أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة :

ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذاب كما صح في حق أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها، وفي بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها. وفي بعضهم بدخول الجنة بغير حساب، وفي بعضهم برفع الدرجات فيها. فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة، وأن أسعدهم بها المؤمن المخلص . والله أعلم [1]

ثم قال ابن حجر في موضع آخر: والمراد بهذه الشفاعة المسئول عنها هنا بعض أنواع الشفاعة، وهي التي يقولﷺ : (أمتي أمتي) فيقال له: (أخرج من النار من في قلبه وزن كذا من الإيمان) .

فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكون إيمانه أكمل ممن دونه .

وأما الشفاعة العظمى في الإراحة من كرب الموقف، فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة، وهم الذين يدخلونها بغير حساب، ثم الذين يلونهم وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يحاسب ويستحق العذاب، ثم من يصيبه لفح من النار ولا يسقط .

والحاصل: أن في قوله(أسعد) إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص ولذلك أكده بقوله(من قلبه) مع أن الإخلاص محله القلب، لكن إسناد الفعل إلى الجارحة أبلغ في التأكيد. وبهذا التقرير يظهر موقع قوله(أسعد) وأنها على بابها من التفضيل. ولا حاجه إلى قول بعض الشراح الأسعد هنا بمعنى السعيد، لكون الكل يشتركون في شرطية الإخلاص، لا نقول يشتركون فيه لكن مراتبهم فيه متفاوتة. وقال البيضاوي: يحتم لأن يكون المراد من ليس له عمل يستحق به الرحمة والخلاص، لأن احتياجه إلى الشفاعة أكثر وانتفاعه بها أوفى. والله أعلم. [2]

قال ابن القيم رحمه الله في معنى حديث أبي هريرة: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم

[1] فتح الباري (١/١٥٧)

[2] فتح الباري (١١/٣٧٤)

الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع. ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليا أو شفيعا أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله كما قال في الفصل الأول ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾{البقر ٢٥٥}

وفي الفصل الثاني﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ {الأنبياء٢٨} وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله ﷺ . فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ووعاها .ا هـ .

وذكر أيضا رحمه الله تعالى أن الشفاعة ستة أنواع:

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول(أنا لها) وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه الشفاعة يختص بها لا يشركه فيها أحد .

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم. والأحاديث متواترة عن النبي ﷺ . وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، بدعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لا ينازع فيها أحد. وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليا ولا شفيعا، كما قال تعالى: ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾{الأنعام٥١}

السادس: شفاعته في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابـــه، وهــذه خاصة بأبي طالب وحده . [1]

---

[1] فتح المجيد ص(٢٢)

الحديث العشرون

﴿ مجرد اليقين بكلمة التوحيد توجب دخول الجنة ﴾

عَنْ عُثْمانَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ الله دَخَلَ اَلْجَنَّةَ). [1]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثاني عشر تقدمت ترجمته.

شرح الحديث العشرون

كلام أهل السنة في العصاة من المسلمين :

قال النووي: وأما معنى الحديث وما أشبهه فقد جمع فيه القاضي عياض رحمه الله كلاما حسنا جمع فيه نفائس، فأنا انقل كلامه مختصرا ثم أضـــم بعـــده إليـــه مـــا حضرني من زيادة قال القاضي عياض رحمه الله: اختلف الناس فيمن عصـــى الله تعالى من أهل الشهادتين، فقالت المرجئه: لا تضره المعصية مع الإيمان. وقـــالت الخوارج: تضره ويكفر بها. وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كـــانت معصيتـــه كبيرة، ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر، ولكن يوصـــف بأنـــه فاســـق، وقـــالت الأشعرية: بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجـــه مـــن النـــار وإدخاله الجنة قال وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة، وأما المرجئة فـــإن احتجت بظاهره قلنا محمله على أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ثم أدخـــل الجنة، فيكون معنى قوله ﷺ (دخل الجنة) أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب. وهـــذا لابد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة، فلا بـــد مـــن تأويل هذا لئلا تتناقض نصوص الشريعة. وفي قوله ﷺ وهو يعلم إشارة إلى الـــرد

---

[1] أخرجه مسلم (٢٦) في الإيمان – باب من مات على التوحيد دخل الجنة، وأحمد.

على من قال من غلاة المرجئة إن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه، وقد قيد ذلك في حديث آخر بقوله ﷺ (غير شاك فيهما) وهذا يؤكد ما قلناه.

قال القاضي: وقد يحتج به أيضا من يرى أن مجرد معرفة القلب نافعة دون النطق بالشهادتين لاقتصاره على العلم. ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالشهادتين لا تنفع إحداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى، إلا لمن لم يقدر على الشهادتين لآفة بلسانه أو لم تمهله المدة ليقولها بل اخترته المنية ولا حجه لمخالف الجماعة بهذا اللفظ إذ قد ورد مفسرا في الحديث الآخر(من قال لا إله إلا الله ومن شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) وقد جاء هذا الحديث وأمثاله كثيرة في ألفاظها اختلاف، ولمعانيها عند أهل التحقيق ائتلاف، فجاء اللفظ في هذا الحديث، وفي رواية معاذ عنه ﷺ (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وفي رواية عنه ﷺ (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة) وعنه ﷺ (ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار) ونحوه في حديث عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك وزاد في حديث عبادة (على ما كان من عمل) وفي حديث أبى هريرة (لا يلقى الله تعالى بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق) وفي حديث أنس (حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى) وهذه الأحاديث كلها سردها مسلم رحمه الله في كتابه، فحكى عن جماعة من السلف رحمهم الله منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي وقال بعضهم هي مجملة تحتاج إلى شرح. ومعناه: من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها وهذا قول الحسن البصري، وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك وهذا قول البخاري وهذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها وأما إذا نزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بينه المحققون. فنقرر أولا: أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح، وأهل الحديث، والفقهاء، والمتكلمين، على مذهبهم من الاشعريين، إن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان، وتشهد مخلصا من قلبه بالشهادتين، فأنه يدخل الجنة، فان كان تائبا أو سليما من المعاصي، دخل الجنة برحمة ربه، وحرم على النار بالجملة. فإن حملنا اللفظين الواردين على هذا

فيمن هذه صفته كان بينا، وهذا معنى تأويلي الحسن والبخاري. وإن كان هذا من المخلطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه فهو في المشيئة، لا يقطع في أمره بتحريمه على النار، ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة، بل يقطع بأنه لابد من دخوله الجنة آخرا، وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه، وإن شاء عفا عنه بفضله. ويمكن أن تستقل الأحاديث بنفسها، ويجمع بينها فيكون المراد باستحقاق الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة أنه لابد من دخولها لكل موحد أما معجلا معافى، وأما مؤخر بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود، خلافا للخوارج والمعتزلة في المسألتين. ويجوز في حديث(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) أن يكون خصوصا لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه، وإن كان قبل مخلطا فيكون سببا لرحمة الله تعالى إياه ونجاته رأسا من النار وتحريمه عليها، بخلاف من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلطين. وكذلك ما ورد في حديث عبادة من مثل هذا (ودخوله من أي أبواب الجنة شاء) يكون خصوصا لمن قال ما ذكره النبيﷺ وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه. فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة إن شاء الله تعالى والله أعلم. هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وهو في نهاية الحسن. وأما ما حكاه عن ابن المسيب وغيره فضعيف باطل. وذلك لان راوي أحد هذه الأحاديث أبو هريرة رضى الله عنه، وهو متأخر الإسلام، أسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق، وكانت أحكام الشريعة مستقرة، وأكثر هذه الواجبات كانت فروضها مستقرة، وكانت الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من الأحكام قد تقرر فرضها، وكذا الحج على قول من قال فرض سنة خمس أو ست، وهما أرجح من قال قول من قال سنة تسع والله اعلم. وذكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى تأويلا آخر، في الظواهر الواردة بدخول الجنة بمجرد الشهادة فقال: يجوز أن يكون ذلك اقتصار من بعض الرواة نشأ من تقصيره في الحفظ والضبط، لا من رسول الله ﷺ،بدلالة مجيئه تاما في رواية غيره، وقد تقدم نحو هذا التأويل. قال: ويجوز أن يكون اختصار من رسول الله ﷺ فيما خاطب به الكفار عبدة الأوثان، الذين كان

توحيدهم لله تعالى مصحوبا بسائر ما يتوقف عليه الإسلام ومستلزما له، والكـــافر إذا كان لا يقر بالوحدانية، كالوثني والثانوي، فقال لا إله ألا الله وحاله الحال التـــي حكيناها حكم بإسلامه، ولا نقول والحالة هذه ما قاله بعض أصحابنا من أن من قال لا إله إلا الله يحكم بإسلامه ثم يجبر على قبول سائر الأحكام، فإن حاصله راجـــع إلى أنه يجبر حينئذ على إتمام الإسلام، ويجعل حكمه حكم المرتد إن لم يفعل مـــن غير أن يحكم بإسلامه بذلك، وفي نفس الأمر وفي أحكام الآخرة، ومـــن وصفنـــاه مسلم في نفس الأمر وفي أحكام الآخرة والله أعلم. (١)

---

[1] شرح مسلم ١(/٢١٨)

الحديث الحادي والعشرون

﴿فضل كلمة التوحيد عند الموت﴾

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ). [1]

ترجمة الصحابي : معاذ بن جبل : هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أنس بن عايذ بن عدي بن كعب بن عمرو من بني جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الجشمي، وقد نسبه بعضهم في بني سلمة بن سعد، قالوا وإنما دعته بنو سلمة لأنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد من بني سلمة لأمه، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، وقيل: آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وبعثه إلى اليمن قاضيا ومعلما، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن .

---

[1] أخرجه أبو داود (٣١١٦) في الجنائز, باب التلقين، والحاكم في (المستدرك) ٣٥١/١ وصححه ووافقه الذهبي، وابن منده في التوحيد (ق ٢/٤٨) وأحمد ٣٣٢/٥ من طريق صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل مرفوعا به وصححه الألباني في ص/ الجامع (٦٤٧٩) وفي الإرواء (٦٨٧) وقال حفظه الله في الإرواء (٦٨٧): ورجاله ثقات كلهم، غير صالح بن أبي عريب قال إبن منده: مصري مشهور. وقال ابن القطان: لا يعرف حاله، ولا يعرف من روى عنه غير عبدالمجيد بن جعفر.

قال الذهبي: قلت: بلى، روى عنه حيوه بن شريح والليث وابن لهيعه ، وغيرهم، وله أحاديث، وثقه ابن حبان.

قلت: فهو حسن الحديث إنشاء الله تعالى.

وقد وجدت له شاهدا من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٩ موارد) من طريق محمد بن إسماعيل الفارسي حدثنا الثوري عن منصور عن هلال بن يساف عن الأغر عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه).

قلت: ورجاله كلهم ثقات معروفون غير محمد بن إسماعيل هذا، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يغرب، كما في اللسان، وقال : وهذه الزيادة (يعني من كان آخر..) أخرجها البزار من وجه آخر وليس عنده التقييد بالآخرية. أنتهى كلامه حفظه الله من الإرواء

روى عنه عمر، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم، وكان إسلامه وهو ابن ثماني عشرة سنة في قول بعضهم، استعمله عمر بن الخطاب على الشام بعد أبي عبيده بن الجراح، فمات من عامه ذاك في الطاعون سنة ثماني عشرة، وقيل سبعة عشرة، وله ثمان وثلاثون سنة، وقيل ثلاث أو أربع وثلاثون سنة، وقيل غير ذلك.[1]وله في كتب الحديث(١٥٧) حديثا.

شرح الحديث الحادي والعشرون

من أتى بكلمة التوحيد وتوابعها نجى وفلح :

قال شيخ الإسلام وغيره[2]: في هذا الحديث ونحوه أنها فيمن قالها وما عليها، كما جاءت مقيدة بقوله(خالصا من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين) فان حقيقة التوحيد انجذاب الروح لله تعالى جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه(يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة) [3] وتواترت بأن كثيرا ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدا أو عادة، ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه . وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث (سمعت الناس يقولون شيئا فقلته) [4] وغالب

---

[1] انظر جامع الأصول (٢/٨٥٣)

[2] فتح المجيد ص(٥٨)

[3] سيأتي قريبا إن شاء الله في الحديث السابع العشرون

[4] في حديث البراء بن عازب الذي رواه أصحاب السنن وغيرهم في سؤال القبر.

أعمال هؤلاء إنما هي تقاليد واقتداء بأمثالم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾{الزخرف٢٣}

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فانه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلا، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله.

كمال الإخلاص توجب محبة الله :

وهذا هو الذي يحرم على النار وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص، وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين، لا تترك له ذنبا إلا محي عنه كما يمحو الليل النهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصر على ذنب أصلا، فيغفر له ويحرم على النار. وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة [1] فيحرم على النار. ولكن تتقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصراً على ذلك، فإنه يستوجب النار. وإن قال لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر ولكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعدها بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصا لكنه أتي بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المخلص المستيقن، فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته ولا يكون مصرا على سيئات، فإن مات على ذلك دخل الجنة . وإنما يخاف على المخلص أن يأتي بسيئة راجحة فيضعف إيمانه فلا يقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السيئات، ونخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فان سلم من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك فيرجح جانب السيئات فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي

[1] سيأتي إنشاء الله في الحديث التاسع والعشرون

أو النائم، أو من يحسن صوته بالآية من القرآن من غـــير ذوق طعــم وحـــلاوة، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقض ذلك بـــل يقولونها من غير يقين وصدق ويحيون على ذلك، ويموتون على ذلك، ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة. فإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولـــها، وقسـا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح وثقل عليه سماع القرآن، واستبشـــر بذكـر غير الله، واطمأن إلى الباطل، واستحلى الرفث، ومخالطة أهـــل الغفلـة، وكـره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيـــه مـا لا يصدقه عمله.

قال الحسن : (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقتـه الأعمال. فمن قال خيرا وعمل خيرا قبل منه ، ومن قال خيرا وعمل شرا لم يقبـل منه) .

وقال بكر بن عبد الله المزني: (ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صــــلاة ولكـن بشيء وقر في قلبه) .

فمن قال: لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوبا، وكان صادقا في قولها موقنا بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشـــرك الأصغر العملي، فرجحت هذه السيئات على هذه الحسنة، ومـــات مصـــرا علـــى الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إما أن لا يكون مصرا على ســـيئة أصلا، ويكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته. والذين يدخلون النـار ممن يقولها: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقيـــن التـــام المنـــافيين للسـيئات أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعـــف لذلك صدقهم ويقينهم.ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تـــام، لأن الذنـــوب قـد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محـو السيئات فترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصا .

وقد ذكر هذا كثير من العلماء، كابن القيم وابن رجب وغيرهم .

قلت: وبما قرره شيخ الإسلام تجتمع الأحاديث .

قال : وفي الحديث دليل على أنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد وبالعكس، وفيه تحريم النار على أهل التوحيد الكامل، وفيه أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصا لوجه الله تعالى على ما شرعه على لسان رسولهﷺ .

(تنبيه) قال القرطبي في تذكرته: قوله في الحديث (من إيمان) أي من أعمال الإيمان التي هي من أعمال الجوارح. فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من الإيمان، والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلناه، ولم يرد مجرد الإيمان الذي هو التوحيد ونفي الشركاء والإخلاص بقول لا إله إلا الله ما في الحديث نفسه من قوله(أخرجوا ــ ثم بعد ذلك يقبض سبحانه قبضة فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط) يريد بذلك التوحيد المجرد من الأعمال. ملخصا من شرح سنن ابن ماجه .اهـ

الحديث الثاني والعشرون

﴿ من قال كلمة التوحيد ومات دخل الجنة وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر﴾

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةٍ بِالْمَدِينَةِ فَاستقبلنا أُحُدٌ، فقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله. فقَالَ: (مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْل أُحدٍ هَذَا ذَهَباً، تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ شيء أرصدُهُ لدَيْنٍ، إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا) عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ سَارَ فقَالَ: (إِنَّ الأَكْثَرِينَ، هُم الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا) عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ!) ثُمَّ قَالَ لِي: (مَكَانَكَ! لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ) ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوْتاً قَد ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ أَحَد عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ، فَذَكَرتُ قَوْلَهُ (لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ)، فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي فَقُلْتُ: لَقَد سَمِعْتُ صَوتاً تَخَوَّفْتُ مِنْهُ، فَذَكَرتُ لَهُ، فقَالَ: (وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمتِكَ لاَ يُشْرِكَ بالله شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ) قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ)! وَفِي رِوَايَةٍ (قُلْتُ يَا جِبْرِيل! وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ نَعَمْ! قَالَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ! وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ).

وَفِي رِوَايَةٍ (قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتَهُ وَقَد اسْتَيقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيهِ فقَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ) قلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ) قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: (وَإِنْ زَنَي وَإِنْ سَرَقَ) ثَلاثاً، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةَ:(عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ) قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ).[1]

---

[1] أخرجه البخاري ٣/٨٨ ، ٨٩ في الجنائز - باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وفي التوحيد- باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، ومسلم(٩٤) في الإيمان- باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، والترمذي(٢٦٤٦) في الإيمان - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة .

غريب الحديث :

(أرصده لدين): أي أعده أو أحفظه، وهذا الأرصاد أعم من يكون لصاحب دين غائب حتى يحضر فيأخذه، أو لأجل وفاء دين مؤجل حتى يحل فيوفي.

(الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة): المراد الإكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة. وهذا في حق من كان مكثرا ولم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعده من الأنفاق .

(حتى توارى): أي غاب شخصه. [١]

ترجمة الصحابي: (أبو ذر) جندب بن جنادة: هو أبو ذر جندب بن جناده، و يقال: جندب بن السكن بن كعب بن سفيان بن عبيد بن حرام، ويقال: عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار الغفاري، وفي نسبه واسمه اختلاف كثير، والأشهر ما ذكرناه، وهو من أعلام الصحابة، وزهادهم، والمهاجرين، وهو أول من حي النبيﷺ بتحية الإسلام، وأسلم قديما بمكة .

ويقال: كان خامسا في الإسلام، انصرف إلى قومه فأقام عندهم إلى أن قدم المدينة على النبي ﷺ بعد الخندق، ثم سكن(الربذة) إلى أن مات سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان، وصلى عليه ابن مسعود، ويقال إن ابن مسعود مات بعده بعشرة أيام، وكان أبو ذر يتعبد قبل مبعث النبي ﷺ.

روى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وعبادة بن الصامت، وزيد بن وهب، و أبو إدريس الخولاني، وقيس بن أبي حازم، وخلق سواهم كثير .

وله في كتب الحديث (٢٨١) حديثا. [٢]

---

[١] فتح الباري (٢٢١/١١)

[٢] جامع الأصول(٢٦١/١)

شرح الحديث الثاني والعشرون

فضل التوحيد أنه ينجي صاحبه:

قوله: (من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة): هو جـــواب الشــرط، رتب دخول الجنة على الموت بغير إشراك بالله. وقد ثبت الوعيد بدخول النار لمن عمل بعض الكبائر وبعدم دخول الجنة لمن عملها فلذلك وقع الاستفهام .

قوله: (قلت: وإن زنى وإن سرق): قال ابن مالك: حرف الاستفهام في أول هـــذا الكلام مقدر، ولا بد من تقديره .

وقال غيره: التقدير أو إن زنى أو إن سرق دخل الجنة .

وقال الطيبي: أدخل الجنة وإن زنى وإن سرق؟ والشرط حال ولا يذكر الجـــواب مبالغة وتتميمها لمعنى الإنكار. قال: وإن زنى وإن سرق .

ووقع في رواية عبد العزيز بن رفيع(قلت يا جبريل:وإن سرق وإن زنى قال: نعم، وكررها مرتين) للأكثر، وثلاثا للمستملي وزاد فـــي آخــر الثالثــة(وإن شــرب الخمر).[1]

قوله: (على رغم أنف أبي ذر): فهو بفتح الراء وضمها وكسرها.

قوله: (وإن رغم أنف أبي ذر): هو بفتح الغين وكسرها. ذكر هذا كله الجوهـــري وغيره، وهو مأخوذ من(الرغم) بفتح الراء وهو التراب.

فمعنى أرغم الله أنفه: أي ألصقه بالرغم وأذله. فمعنى قولهﷺ (على رغم أنف أبي ذر) أي:على ذل منه، لوقوعه مخالفا كما يريد. وقيل معناه: على كراهـــة منـــه، وإنما قال له ﷺ ذلك لاستبعاده العفو عن الزانـــي والســـارق المنتـــهك للحرمـــة، واستعظامه ذلك. وتصور أبي ذر بصورة الكاره الممانع وإن لم يكن ممانعا، وكان ذلك من أبي ذر لشدة نفرته من معصية الله تعالى والله اعلم. [2]

قوله: (ما من عبد قال لا إله إلا الله): وإنما لم يذكر محمد رسول الله لأنه معلـــوم أنه بدونه لا ينفع .

---

[1] فتح الباري (٢٢٣/١١)

[2] شرح مسلم (٩٦/٢)

قوله: (ثم مات على ذلك): أي الاعتقاد، وثم للتراخي في الرتبة، لأن العبرة بالخواتيم.

قوله: (إلا دخل الجنة): استثناء مفرغ أي: لا يكون له حال من الأحوال إلا حال استحقاق دخول الجنة. ففيه بشارة إلى أن عاقبته دخول الجنة وإن كان له ذنوب جمة، لكن أمره إلى الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة .

قوله: (وإن زنى وإن سرق): أو التقدير: أو إن زنى وإن سرق دخل الجنة، وتسمى هذه الواو واو المبالغة، وإن بعدها تسمى وصليه وجزاؤها محذوف لدلالة ما قبلها عليه.

قوله: (قال:وإن زنى وإن سرق): وتخصيصها لأن الذنب إما حق الله وهو الزنا أو حق العباد وهو أخذ أموالهم بغير حق، وفي ذكرهما معنى الاستيعاب كما في قوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ أي دائما .

قوله: (قلت: وإن زنى وإن سرق؟قال: (وإن زنى وإن سرق): أما تكرير أبي ذر فلاستعظام شأن دخول الجنة مع مباشرة الكبائر، وقيل لظنه لو كرر الإجابة بجواب آخر فيجد فائدة أخرى، وأما تكرير رسول الله ﷺ فإنكار لاستعظامه أي أتبخل برحمة الله ؟ فرحمة الله واسعة على خلقه وإن كرهت ذلك .

وفيه دلالة على أن أهل الكبائر لا يسلب عنهم أسم الإيمان، فإن من ليس بمؤمن لا يدخل الجنة وفاقا، وعلى أنها لا تحبط الطاعات لتعميمه عليه الصلاة والسلام الحكم وعدم تفصيله. [1]

---

[1] المرقاة (١/١٨٦)

الحديث الثالث والعشرون

﴿ فضل كلمة التوحيد أن من قالها موقن بها قلبه ثم مات غفر الله له ﴾

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وأني رَسُولُ اللهِ ﷺ ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ، إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهَا). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث السابع عشر تقدمت ترجمته.

قوله: (يرجع ذلك إلى قلب موقن): أي يكون ناشئ عن قلب موقن، ويكون أصله ذلك كأنه تفرع عن أصل يرجع إليه. [٢]

---

[١] أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٦) في الأدب - باب فضل لا إله إلا الله ، وابن حبان (٥) وأحمد ٢٢٩/٥ وحسنه الألباني في ص/ابن ماجه (٣٠٦٣) وفي السلسلة الصحيحة (٢٢٧٨)، وقال حفظه الله : وأخرجه أيضا الحميدي (٣٧٠) عن هصان بن الكاهل عن عبدالرحمن بن سمرة عن معاذ بن جبل مرفوعا. ومن هذا الوجه أخرجه النسائي أيضا في (اليوم والليلة) (١١٣٦-١١٣٩) وكذلك ابن ابي شيبة وأحمد بن منيع وابو يعلى كما في (زوائد البوصيري)(٢/٢٢٨) .

قلت إسناده حسن إنشاء الله ، ورجاله ثقات رجال الشيخين ، غير هصان بن الكاهل ، روي عنه ثقتان ، وذكره ابن حبان في (الثقات) (٥/٥١٢) وحديثه هذا بمعنى أحاديث أخرى في الباب ، بعضها عن معاذ نفسه ، منها حديث أنس عنه مرفوعا بلفظ: (من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، صادقا من قلبه دخل الجنة).

أخرجه أحمد (٥/٢٢٩) والنسائي (١١٣٤) قلت: وإسناده صحيح على شرط الشيخين .انتهى

[٢] (شرح ابن ماجه للسندي ٢/٤٢٠)

شرح الحديث الثالث والعشرون

إذا أخلص العبد في توحيده وصدق بما قال موقنا به قلبه قبل الله منه ما قال من ذكر أو دعاء أو تلاوة قرآن. لأن عبده حقق معنى لا إله إلا الله.

قال ابن رجب رحمه الله [1] :

من صدق في قوله: لا إله إلا الله، لم يحب سواه، ولم يرج إلا إياه، ولم يخش أحدا إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه.

ومع هذا فلا تظنوا أن المراد أن المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زل أن يتلافى تلك الوصمة.

قال زيد بن أسلم: إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك.

وقال الشعبي: إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنبه.

وتفسير هذا الكلام أن الله عز وجل له عناية بمن يحبه، من عباده، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى نجوة النجاة، ييسر له أسباب التوبة، وينبهه على قبح الزلة، فيفزع إلى الاعتذار، ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى.

وفي بعض الآثار: يقول الله: أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أويسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب.

وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال: (الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكير الخبث). [2]

وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عبدالله بن مغفل أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها، فقال: مه فإن الله أذهب الشرك وجاء بالإسلام، فتركها وولى، فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها حتى أصاب وجهه

---

[1] كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي ص (٧٤ – ٧٨)

[2] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب – باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن رقم (٤٥٧٥) (٥٣).

حائطاً، فأتى النبي ﷺ والدم يسيل على وجهه، فأخبره بالأمر فقال ﷺ : (أنت عبد أراد الله بك خيراً) ثم قال: (إن الله إذا أراد بعبدٍ خيراً عجل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد شراً أمسك ذنبه حتى يوافي يوم القيامة). [1]

يا قوم ! قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلاً من دمع العيون، وقد طهرت.

اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى، فالحمية رأس الدواء. متى طلبتكم بمألوفاتها، فقولوا لها، كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل، الذي دمي وجهه: قد أذهب الله بالشرك وجاء بالإسلام، والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة.

ذكِّرُوها مدحة ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ {فصلت٣٠} لعلها تَحِنُّ إلى الاستقامة عرِّفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد، لعلها تستحي من قربه ونظره:﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ {العلق١٤} ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ {الفجر١٤}

راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مُكَوْكِبُها ؟!

أكره رجل امرأةً على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب، ففعلت، فقال لها: هل بقي باب لم تغلقيه ؟ قالت: نعم، الباب الذي بيننا وبين الله، فلم يتعرض لها.

رأى بعض العارفين رجلاً يكلم امرأة، فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما !.

سئل الجنيد: بم يستعان على غض البصر ؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبقُ من نظرك إلى ما تنظر.

وقال المحاسبي: المراقبة: علم القلب بقرب الرب.

كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده ٨٧/٤ ، وابن حبان رقم (٢٤٥٥) موارد والحاكم في المستدرك ٣٤٩/١ ٣٧٦/٤-٣٧٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأبويعلى في مسنده بدون ذكر القصة رقم (٤٢٥٢)

وصى النبي ﷺ رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه.(١)

قال بعضهم: استح من الله على قدر قربه منك، وخف الله على قدرته عليك.انتهى كلامه رحمه الله.

---

١ عن سعيد بن زيد أنه سمع أبا الجذ يقول: إن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أوصني: قال: (أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك) أخرجه أحمد في كتاب الزهد ص (٥٩) قال الهيثمي في المجمع ٢٨٧/١٠ رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

الحديث الرابع والعشرون

﴿ فضل كلمة التوحيد أنه من قالها عند موته اشرق لونه ونفس الله عنه كربته﴾

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (رَأَى عُمَرَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ ثَقِيلاً، فَقَالَ: مَالَكَ يَا أَبَا فُلاَنٍ؟ لَعَلَّكَ سَاءَتْكَ امْرَأَةُ عَمِّكَ يَا أَبَا فُلاَنٍ؟ قَالَ: لاَ-{وأثنى على أبي بكر} إِلاَّ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثاً مَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ إِلاَّ الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (إِنِّي لأَ عْلَمُ كَلِمَةً لاَ يَقُولها عِبْدُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلاَّ أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُه، وَنَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَه) .

قَالَ: فَقَالَ عُمَرَ: إِنِيّ لأَ عْلَمُ مَا هِيَ! قَالَ: وَمَا هِيَ ؟ قَالَ تَعْلَمَ كَلِمَةً أَعْظم مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّه عِنْدَ الْمَوْتِ: لاَ إِلهَ إِلاَ اللهَ ؟ قَالَ طَلْحَة : صَدَقْتَ، هِي وَاللهِ هِي). [1]

ترجمة الصحابي: طلحة بن عبيد الله: هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التيمي القرشي. وأمه الصعبة بنت عبدالله بن عباد الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي، أسلمت وأسلم طلحة قديما على يد أبي بكر الصديق، وشهد المشاهد كلها غير بدر، لأن النبي ﷺ كان نفذه مع سعيد بن زيد، يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب، فعادا يوم اللقاء ببدر، ووقى النبي ﷺ يوم أحد بيده فشلت إصبعه، وجرح يومئذ أربعا وعشرين جراحة، وقيل: كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وسماه النبي ﷺ يوم أحد: (طلحة الخير) وسماه يوم غزوت ذات العسرة(طلحة الفياض)، ويوم حنين(طلحة الجود) وكان آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالبسط، حسن الوجه، دقيق العرنين، لا يغير شعره، وقتل في وقعت الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين، ويقال: إن مروان بن الحكم قتله، وقيل أصابه سهم في حلقه، ودفن

---

[1] أخرجه أحمد (١٣٨٤) وإسناده صحيح ، وابن حبان (٢) بنحوه ، والحاكم (١/٣٥٠ – ٣٥١) والزيادة له ، وقال: (صحيح على شرطهما) ووافقه الذهبي ذكر ذلك الشيخ الالباني في أحكام الجنائز ص (٤٨) ، كما صححه الشيخ أيضا في ص/ابن ماجه(٣٠٦٢) وتخريج المختارة ، والاحكام (٣٤).

بالبصرة وله أربع وستون سنة، وقيل:اثنتان وستون، وقيل ستون، ويلقى النبـــيﷺ في مرة بن كعب. روى عنه السائب بن يزيد، و عبدالرحمن بن عثمان بن عبيدالله التيمي، وأبو عثمان النهدي، وقيس بن أبي حازم، وموسى بن طلحــــة وغــيرهم. (انظر جامع الأصول ١٢٦/١) وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وله فـــي كتــب الحديث (٣٨) حديث .

الحديث الخامس والعشرون

﴿ فضل من حقق التوحيد دخل الجنة ﴾

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجلٌ فقَالَ: يَا رَسُول اللهِ مَا الْمُوجِبَتَان؟ فقَالَ: (مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دخلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دخَلَ النَّارَ) .

وفي رواية: (مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّار). [1]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثالث تقدمت ترجمته.

شرح الحديث الخامس والعشرون

قوله: (من):للعموم. قوله: (دخل الجنة): وهذا الدخول لا ينافي أن يعذب بقدر ذنوبه إن كانت عليه ذنوب لدلالة نصوص الوعيد على ذلك، وهذا إذا لم يغفر الله له، لأنه داخل تحت المشيئة. و(دخل) جواب(من) .

قوله: (لا يشرك): في محل نصب على الحال.

قوله: (شيئا): نكرة في سياق الشرط فيعم أي شرك حتى ولو أشرك مع الله أشرف الخلق، وهو الرسولﷺ ، دخل النار فكيف بمن يجعل الرسولﷺ أعظم من الله؟ فيلجأ إليه عند الشدائد، ولا يلجأ إلى الله بل ربما يلجأ إلى ما دون الرسولﷺ.

مسألة: هل يلزم من دخول النار لمن أشرك؟ .

هذا بحسب الشرك، إن كان الشرك أصغر فإنه لا يلزم من ذلك الخلود في النار، وإن كان أكبر فإنه يلزم منه الخلود في النار. [2]

---

[1] أخرجه مسلم (٩٣) في الإيمان – باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة .

[2] القول المفيد (١/١٢٠)

قوله: (من لقي الله لا يشرك به شيئا): قال القرطبي: أي لم يتخذ معه شريكا في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة. وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آماد.[١]

قال النووي رحمه الله: فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي واليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك.[٢]

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به. لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة.

فإن عفى الله عنه دخل الجنة أولا، وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة. والله أعلم.[٣]

ثم إن الشرك شركان:

شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله. وشرك في عبادته ومعاملته،وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله.

وهذا إنما يصدر غالبا ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وهذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ : (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة) قيل:

---

[١] فتح المجيد ص(٨٩)

[٢] يعني: أنهم مستوون في الخلود في النار ، ولكنهم متفاوتون في دركاتها ، ولايظلم ربك أحدا مثقال ذرة .(فتح المجيد ص(٩٠) من تعليق الشيخ حامد الفقي

[٣] شرح مسلم (٩٧/٢)

فكيف ننجو منه يا رسول الله ؟ قال: (قل: اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم) رواه ابن حبان في (صحيحه).

قال الشيخ أحمد السرهندي في المكتوب الثالث من المجلد الثالث من (مكتوباته): لا إله إلا الله: لا أحد يستحق الألوهية والمعبودية إلا الله الذي لا نظير له، فإن المستحق للعبادة التي هي عبارة عن كمال التذلل والخضوع والانكسار، إنما ثبت لمن له جميع الكمالات وسلب عنه جميع النقائص، واحتاج إليه جميع العالم والأشياء في الوجود وتوابع الوجود، وهو ليس بمحتاج في أمر إلى شيء أصلا، وهو الضار النافع، لا شيء يقدر إيصال ضرر أو نفع إلى أحد إلا بإذنه، وإشراك أحد في عبادته جل وعلا بمجرد التوهم نهاية الخذلان والخسران، فينبغي أن ينفي بتكرار لا إله إلا الله، شريك وجوب الوجود، وشرك استحقاق العبادة، بل الأهم الثاني نفي شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة الرسل عليهم الصلوات والتسليمات، فإن المخالفين ينفون أيضا شريك وجوب الوجود بدلائل عقلية، ولكنهم غافلون عن معاملة استحقاق العبادة، لا يتحاشون عن عبادة الغير، والمشرك في لسان الأنبياء من يكون أسيرا لعبادة غير الحق سبحانه، فمن لم يتحقق بما قاله الأنبياء من نفي استحقاق ما سوى الله تعالى العبادة لا يتخلص عن الشرك، ولا ينجو من شعب شرك عبادة الآلهة الأفاقية والأنفسية، وهو المقصود من بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وقد قالوا: إن كل ما هو مقصودك معبودك، فمعنى لا إله إلا الله لا مقصود إلا الله، كما أنه لا معبود (بحق) إلا الله، ولا رب إلا الله.

وفي المكتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضا: إن الله هو الخالق الرب المنعم فيجب على العبد الشكر والعبادة، ولكن يجب كون الشكر والدعاء منحصرا في إتيان أحكام الشريعة قلبا وقالبا واعتقادا وعملا، وكل تعظيم وعبادة له يؤدى بما وراء الشريعة لا يكون قابلا للاعتماد، بل كثيرا ما يكون محصلا للأضداد، والحسنة المتوهمة تكون سيئة في الحقيقة، فأداء شكره تعالى متعذر بدون الإتيان بها، والشريعة لها جزءان: اعتقادي وعملي: فالإعتقادي: أصول الدين، والعملي: من فروعه.

وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة، وفاقد العمل أمره مفوض إلى مشيئة الله عز وجل، فشرط صحة الإيمان عدم إشراك شيء بالله تعالى، لا في وجوب الوجود ولا في استحقاق العبادة، ومن لم يكن عمله مبرءا عن شائبة الرياء والسمعة، ومظنة طلب الأجر من غير الله تعالى، ولو بالقول والذكر الجميل فليس هو بخارج عن دائرة الشرك، ولا هو بموحد مخلص، ولتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدم راسخ في الشرك، والمصدق للدينين من أهل الشرك، والمتشبث بمجموع أحكام الإسلام والكفر مشرك.

والتبرؤ من الكفر شرط الإسلام، والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد، والاستمداد من الأصنام والطواغيت (والأرواح والأموات) في دفع الأمراض والأسقام كما هو الشائع فيما بين جهلة أهل الإسلام عين الشرك والضلالة، فيكفرون من حيث لا يشعرون، ونذر الحيوان للمشايخ، وذبحه عند قبورهم داخل في الشرك، ولا يجوز إشراك أحد به تعالى في عبادة من العبادات، وطلب الحاجات من غير الله عين الضلالة، وتسويل الشيطان الرجيم...إلخ.

قال المعصومي: نعم ما قال في هذه المقالة، وقد أتى هنا بالحق الصريح الذي ليس وراءه إلا الضلال، ولكنه أخطأ في كثير من المواضع تقليدا لمشايخه وحفظا لشئون طريقته، وصار سببا لخطأ بل ضلال كثير ممن اتبعه من بعده من أهل طريقته، كاستمداده من أرواح مشايخه، وروحانية أسلافه، وأمره مريديه بالذكر باللفظ المفرد: الله الله وأمره بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ في خياله وقلبه، واختراعه اللطائف الخمس: القلب والروح والسر والخفي والأخفى، وأمر المريد بالملازمة بالذكر الخاص بكل واحدة منها إلى غير ذلك من الترهات التي قد بينتها في كتابي (أوضح البرهان في تفسير أم القرآن) فعليك به إذا أردت التحقيق، وبالله التوفيق.

فقد ثبت ثبوتا بينا أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ومفتاح دار السلام، لكن بشرط كونها خالصة مخلصة، فلا بد أولا من الكفر والتبرء من كل الآلهة الآفاقية والأنفسية، ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقا، وأهم ما نفته هذه الكلمة استحقاق العبادة لغير الله نفيا كليا، ولأجل هذا أرسلت الرسل، وجردت السيوف، ومن

لوازمها العمل بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من مقتضى هذه الكلمة بلا تغيير ولا تزييد.

فمن المنفي الربوبية والخالقية، فلا رب إلا الله ولا خالق إلا الله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تربى تربية بسلطة غيبية فقد أشرك بالله في الربوبية والخالقية، كما هو حال كثير من جهلة القبوريين والطرقيين.

ومن المنفي: القدرة فلا قدرة لأحد ولا قادرية أصلا، فلا قادر إلا الله، ولا قدرة لأحد إلا بالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تقدر على شيء بنفسها فقد أشرك بالله في صفة القدرة والقادرية.

ومن المنفي: التصرف في الكون والإحياء والإماته، فلا متصرف في الكون إلا الله ولا محيي إلا الله، ولا مميت إلا الله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تتصرف في الكون أو تحيي أو تميت فقد أشرك بالله.

ومن المنفي: الحكم والتحليل والتحريم، فالحاكم الحق حقيقة هو الله وحده، وهو المشرع وحده، وهو المحلل وحده، وهو المحرم وحده، فلا حاكم إلا الله، ولا مشرع إلا الله، ولا محلل إلا الله، ولا محرم إلا الله، فمن حكم بحل شيء لم يحله الله، أو حكم بحرمة شيء لم يحرمه الله، أو شرع ما لم يأذن به الله، فقد أشرك بالله.

ومن المنفي: العبادة والمعبودية، وهذا هو الأصل الذي أنزلت هذه الكلمة لأجله، وأرسلت الرسل لأجله، فلا معبود حقا إلا الله، ولا يعبد حقا إلا الله بأي نوع من أنواع العبادة.

وبالجملة: إن الدين قد أكمل وتمم وبين تمام التبيان، من طرف رسول الله الذي بعث إلى كافة الأنام من الإنس والجان بالحق والهدى، فالزيادة على ذلك ضلال أي ضلال، وخسران أي خسران، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فمن قالها لفظا ولكنه غير معناها، وأفسد تفسيرها، وعبد غير الله فقد أتى ببهتان، فلا شك أنه يصير من أهل الخسران فتنبه.[1]

---

[1] مفتاح الجنة ص (٧٧ - ٨٣)

الحديث السادس والعشرون

﴿ فضل كلمة التوحيد أن الله يثبت بها العبد في قبره ﴾

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُماَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَولُهُ تَعالَى: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياَةِ الدُّنْياَ وَفِي الْآخِرَةِ) .

وَفِي رِوايةٍ قَالَ: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) نزَلَتْ فِي عَذَبِ الْقَبْرِ، يُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، ونَبِيِّي مُحَمَّد). [1]

ترجمة الصحابي: البراء بن عازب : هو أبو عمارة، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو عمر، وقيل أبو الطفيل، والأشهر الاول، البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن النبيت وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الحارثي الاوسي أول مشهد شهده الخندق لأنه استصغر قبل ذلك من المشاهد نزل الكوفة، وافتتح الري سنة أربع وعشرين في قول، وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين، والنهروان، ومات بالكوفة أيام مصعب بن الزبير. سنة إحدى وسبعين .

روى عنه أبو جحيفة، وعبد الله بن يزيد الأنصاري، وبنوه الربيع، ويزيد، وعبيد، وأبو إسحاق السبيعي. وله في الصحيحين(٣٠٥) أحاديث. [2]

---

[1] أخرجه البخاري ١٨٤/٣ في الجنائز - باب ماجاء في عذاب القبر، وفي تفسير سورة ابراهيم، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، ومسلم(٢٨٧١) في صفة الجنة - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، والترمذي (٣١١٩) في التفسير باب ومن سورة ابراهيم عليه السلام، وأبو داود (٤٧٥٠)في السنة - باب المسألة في القبر وعذاب القبر. والنسائي ١٠١/٦ في الجنائز - باب عذاب القبر، وابن ماجه (٤٢٦٩) في الزهد - باب ذكر القبر والبلى.

[2] جامع الأصول (٢٠٨/١)

شرح الحديث السادس والعشرون

قوله: (المسلم): وفي معناه المؤمن، والمراد به الجنس، فيشمل المذكر والمؤنث، أو حكمهما يعرف بالتبعية .

قوله: (إذا سئل في القبر): التخصيص للعادة أو كل موضع فيه مقره فهو قبره، والمسئول عنه محذوف أي: سئل عن ربه ودينه ونبيه لما ثبت في الأحاديث الأخر.

قوله: (يثبت الله الذين آمنوا): أي يجري على لسانهم(بالقول الثابت): وهو كلمة الشهادة المتمكنة في القلب بتوفيق الرب. قال الطيبي: اللام إشارة إلى كلمة طيبة.اهـ (في الحياة الدنيا): بأن لا يزالوا عنه إذا فتنوا، ولم يرتابوا بالشبهات وإن القوا في النار.(وفي الآخرة): أي البرزخ وغيره، وقيل: في القبر عند السؤال وهو الصحيح كما وقع به التصريح. قال الطيبي: وأعاد الجار ليدل على استقلاله في التثبيت .

وفيه: أن المراد إثبات عذاب القبر مجملا، غايته أن عذاب المؤمن الفاسق مسكوت عنه كما هو دأب القران في الاقتصار على حكم الفريقين، كما ورد في إعطاء الكتاب باليمين والشمال، وخفة الميزان وثقله وأمثالها، وهذا المقدار من الدليل حجة على المخالف إذ لا قائل بالفصل. (١)

---

١ المرقاة (٣٣٧/١)

الحديث السابع والعشرون

﴿ فضل كلمة التوحيد إذا اقترنت بشيء يسير من الخير ﴾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (يَخرُجُ مِنَ النَّـــارِ مَـــنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يزِنُ بَرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَـــنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يزِنُ ذَرَّةً). [1]

ترجمة الصحابي : انظر الحديث الرابع تقدمت ترجمته.

شرح الحديث السابع والعشرون

قوله: (وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة): المراد بالذرة واحدة الـــذر وهـــو الحيوان المعروف الصغير من النمل، وهي بفتح الذال المعجمة وتشدد به الـــراء، ومعنى يزن: أي يعدل. [2]

قال الحافظ بن حجر في الفتح: (ذرة): قيل هي أقل الأشياء الموزونة، وقيل هـــي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر. وقيل هي النملة الصغـيرة، ويروى عن ابن عباس انه قال: إذا وضعت كفك في التراب فنفضتها فالساقط هـــو الذر، ويقال إن أربع ذرات وزن خردلة .

---

[1] أخرجه البخاري ١٣/٣٩٥-٣٩٧ في التوحيد - باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، بـاب قوله تعالى(لما خلقت بيدي)، وباب قوله تعالى(وكلم الله موسى تكليما، وفي تفسير سورة البقرة، بـــاب قولــه تعلى(وعلم آدم الأسماء كلها) وفي الرقاق - باب صفة الجنة والنار، ومسلم(١٩٣) في الإيمان - باب أدنــى أهل الجنة منزلة فيها، والترمذي(٢٥٩٦) في صفة جهنم - باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخـــرج من النار من أهل التوحيد

[2] شرح مسلم (٦١/٣)

وعقيدة السلف الصالح هذه أن الله يخرج من النار كل موحد، ومن كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، أو برة أو ذرة.

بل يؤمنون حق الإيمان أن كل من قال لا إله إلا الله مخلصا صادقا – لا منافق نفاق أكبر – إذا دخل النار بمعاصيه أنه لا يخلد في النار بل يخرج منها وكانوا يدعون الله أن لا يجمع بين الموحدين ومن أشرك به.

قال بعض السلف [1]: كان ابراهيم عليه السلام يقول: اللهم لا تشرك من كان يشرك بك شيئا بمن كان لا يشرك بك.

وكان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم إنك قلت عن أهل النار: إنهم﴿ أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾{النحل٣٨} ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت. اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة.

كان أبو سليمان يقول إن طلبني ببخلي طالبته بجوده، وإن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه، وإن أدخلني النار، أخبرت أهل النار أني أحبه.

ما أطيب وصله وما أعذبه   وما أثقل هجره وما أصعبه

وفي السخط والرضى ما أهيبه   القلب يحبه وإن عذبه

وكان بعض العارفين يبكي طوال ليله ويقول: إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإن لك محب ! العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما يخافون من العذاب.

قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي.

كان بعضهم يقول: إلهي وسيدي ومولاي ! لو عذبتني بعذابك كله كان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب.انتهى كلمه رحمه الله.

---

[1] كتاب التوحيد لابن رجب ص (٩٤)

الحديث الثامن والعشرون

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها تنجي قائلها من كل شيء ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَنْ قَالَ: لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ اللهُ أَنْجَتْهُ يَوْماً مِنْ دَهْرِهِ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَه). [1]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث السادس تقدمت ترجمته.

شرح الحديث الثامن والعشرون

قوله: (من قال لا إله إلا الله): أي مخلصا(أنجته): وفي رواية نفعتـــه(يومـــا مـــن دهره): إن قرنها بمحمد رسول الله ﷺ . قال الغزالي: ذكر في بعـــض الروايـــات الصدق والإخلاص فقال مرة(من قال لا إله إلا الله مخلصا) ومعنـــى الإخـــلاص مساعدة الحال للمقال .

قوله:(أصابه):وفي رواية يصيبه(قبل ذلك ما أصابه):لأنه إذا أخلص عند قول تلـك الكلمة أفاض الله على قلبه نورا أحياه به،فبذلك النور طهر جسده فنفعه عند فصـــل القضاء وأهلته لجوار الجبار في دار القرار. لكن ليس الغرض أنه يلفظ بهذا الكلام فحسب، بل أنه عقد ضميره على التوحيد وجعل ديـــن الإســـلام مـــن مـــذ هبـــه ومعتمده.[2]

---

[1] أخرجه أبو سعيد بن الاعرابي في (معجمه)(ق ٢/٨٨) وابن حيوية في (حديثه)(٢/٢/٣) وابن ثرثـــال فـــي (سداسياته)(٢/٢٢٧) وأبو نعيم في(الحليـــه)(٤٦/٥) والخطيـــب فـــي (الموضـــح)(٢٠٥/٢) والبيـــهقي فـــي (الشعب)(٥٦/١ – هنديه) كلهم عن عمر بن خالد المصري: نا عيسى بن يونس عن سفيان عن منصور عـــن هلال بن يساف بن الاغر عن أبي هريرة مرفوعا به.(ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة(١٩٣٢) ثـــم قـــال حفظه الله: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين . انتهى

[2] فيض القدير (١٨٨/٦)

لا إله إلا الله التي تنجي صاحبها لها أصلان [1]**:**

إعلم يا أخي في الله عز وجل، أن معنا أصلين عظيمين:

أحدهما: أن لا نعبد إلا الله.

والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ففي (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) كما ذكرناه سابقا.

ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع، ويدل على هذا ما في (الصحيحين) أيضا عن عمر رضي الله عنه، أنه قبل الحجر الأسود، وقال: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)، فتدبر وتفكر وتنبه ولا تكن من الغافلين !

ومن يتدبر الآيات القرآنية تبين له معنى لا إله إلا الله، وتفكر في قوله تعالى:﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ {التوبة٣١} وقد فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه، أنه الأخذ بقول الرجال.

ولهذا قال تعالى:﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ {التوبة٣١} فصار ذلك الأخذ عبادة لهم، وصاروا به أربابا لهم من دون الله ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ {آل عمران٨٠} فمن تدبر هذه الآيات وما شاكلها تبين له معنى لا إله إلا الله، وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعى العلم في هذه القرون، وقد عمت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة، ولما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم، وبنيت عليها المساجد، وبنيت لهم المشاهد والقباب، فاتسع الأمر، وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات، وتعظيمهم بالعبادة.

وبهذه الأمور عاد المعروف منكرا والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، فتبين سر قوله ﷺ : (بدا الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس).

---

[1] مفتاح الجنة ص (٥١ – ٥٦)

وروى الترمذي وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيﷺ أنه قال: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف، ورفعت الأقلام، واعمل لله بالشكر في اليقين).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبيﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: (ما هذه ؟) فقال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) رواه أحمد. [1]

ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعوا غيره، والاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون، فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوات الأموات والغائبين، فهو من الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ {الأنعام١٧} ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة، وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء، وكانوا بعبادتهم كافرين﴾{الأحقاف٥-٦} فأخبر الله تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً دونه كائناً من كان، فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران، فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده، وصار المدعو للداعي عدواً فالداعي للغير في غاية الضلال، قال الله تعالى: ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض، أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾{النمل٦٢}

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي ﷺ: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله).

---

[1] رواه أحمد في (مسنده)(٤/٤٤٥) وابن ماجه مختصراً (٣٥٣١) وابن حبان (١٤١٠- موارد) بنحوه ، وفي سنده المبارك بن فضالة مدلس لين الحديث وقد عنعن ، ورواه ابن حبان (١٤١ - موارد) والحاكم (٢١٦٤) من طريق آخر ، وفي سنده صالح بن رستم وهو صدوق يخطىء كثيراً ، والحسن لم يسمع من عمران !!

إنما نهى النبي ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسدا لذرائع الشرك مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يستجيب من الأموات والغائبين والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك. وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى، حتى ظنوا أن الميت يسمع وينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسا، كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة. انتهى.

الحديث التاسع والعشرون
﴿فضل كلمة التوحيد هي أفضل الحسنات﴾

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي ، قَالَ: (إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْها حَسَنَةً تَمْحُها) قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ قَالَ: (هِيَ أَفضَلُ الْحَسَنَات). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثامن عشر تقدمت ترجمته.

الحديث الثلاثون
﴿ فضل كلمة التوحيد أن الله اصطفاها من الكلام ﴾

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبيﷺ قال: (إِنَّ اللهَ تعالى اصطفَى مِنَ الكَلاَمِ أَرْبَعاً: سُبْحانَ اللهِ، والْحَمْدُ لله، ولاَ إِله إِلاَّ اللهُ، واللهُ أَكْبَر. فَمَنْ قال: سُبْحانَ الله كُتِبَتْ لَهُ عُشْرُون حَسَنَةً، وَحُطَّتْ عَنْهُ عُشْرونَ سَيِّئَةً. وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَر، مِثْل ذلك. وَمَنْ قَالَ: لاَ إِله إِلاَّ الله مِثْل ذلك، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلاَثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ ثَلاَثُونَ خَطِيئَة). [٢]

ترجمة الصحابي: أبو هريرة انظر الحديث السادس تقدمت ترجمته.

ترجمة الصحابي: أبو سعيد الخدري: هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث الخزرجي الأنصاري الخدري، اشتهر بكنيته، كان من الحفاظ المكثرين، العلماء الفضلاء العقلاء. أول مشاهده الخندق، وذلك أنه قال: عرضت على النبي ﷺ يوم أحد، وأنا ابن ثلاث

---

[١] أخرجه أحمد ١٦٩/٥ ، وأبو نعيم في (الحلية) ٢١٧/٤ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧٣)

[٢] أخرجه أحمد ٣١٠/٢ ، والحاكم ٥١٢/١ ، وصححه الألباني في ص/ الجامع (١٧١٨)

عشرة سنة، فجعل أبي يأخذ بيدي، فيقول: يا رسول الله إنه عبل العظام، وإن كان مؤذنا ــ أي قصير ــ فجعل النبي ﷺ يصعد في بصره ويصوبه ثم قال: رده، فردني. فخرجنا نلتقي رسول الله ﷺ حين أقبل من أحد، فنظر إلي فقال: (سعد بن مالك)، قلت: نعم بأبي وأمي، فدنوت فقبلت ركبته، فقال: آجرك الله في أبيك، وكان قبل يومئذ شهيدا.

وغزا أبو سعيد مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة.

روى عنه جماعة من الصحابة، والتابعين منهم: ابن عمر، وجابر، وزيد بن ثابت، وغيرهم.

مات سنة أربع وسبعين، ودفن بالبقيع وله أربع وثمانون سنة [1] وله في كتب الحديث (١١٧٠) حديثا .

شرح الحديث الثلاثون

قوله: (إن الله اصطفى من الكلام أربعا) وهي قوله (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فهي مختار الله من جميع كلام الآدميين (فمن قالها) أي دبر الصلاة أو غيرها (سبحان الله كتبت له عشرون حسنة... الحديث)إن الله تعالى اصطفي من الكلام أربعا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فمن قال: سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة. ومن قال: الله أكبر، مثل ذلك. ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه).

يحتمل أن المراد به قصد به الإنشاء أو الإخبار أو قالها لا من جهة نعمة تجددت أو نقمت اندفعت (كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون خطيئة) وفي رواية (إن الله اصطفى لملائكته من الكلام أربعا ... إلخ).

قال الطيبي: لمح به إلى قوله تعالى: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ويمكن أن تجعل هذه الكلمة مختصرة من قوله: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله

---

[1] جامع الأصول الفهارس ١(/٤٣٨)

أكبر) وقوله: (وبحمدك) صريح في معنى (والحمد لله) لأن الإضافة بمعنى اللام في الحمد، ومستلزم بمعنى الله أكبر، لأنه إذا كان كل الفضل والأفضال لله ومن الله وليس من غيره فلا يكون أحد أكبر منه ولا يلزم منه أن يكون التسبيح أفضل من التهليل إذ التهليل صريح في التوحيد، والتسبيح متضمن له، ولأن نفي التهليل في قوله (لا إله) نفي لمصححاتها من الخالقية والرازقية. وكونه مثيباً ومعاقباً من الغير.

وقوله: (إلا الله) إثبات له، ويلزم منه نفي ما يضاد الإلهية ويخالفها من النقائص. فمنطوق (سبحان الله) تنزيه، ومفهومه توحيد.

ومنطوق لا إله إلا الله توحيد، ومفهومه تقديس، فإذا اجتمعا دخلا في مفهوم الطرد والعكس إلى هنا كلام الطيبي.

وأخذ منه بعضهم أن الحمد أفضل من التسبيح. لأن في التحميد إثبات سائر صفات الكمال. والتسبيح تنزيه عن سمات النقص. والإثبات أكمل من السلب.

وادعى بعضهم أن الحمد أكثر ثواباً من التهليل. ورد بأن في خبر البطاقة المشهور ما يفيد أن لا إله إلا الله لا يعادل لها شيء. [1]

---

[1] (فيض القدير ٢/٢١١)

الحديث الحادي والثلاثون

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها تساقط ذنوب العبد ﴾

عَنْ أنس بْنِ مَالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يابسَةِ الْوَرَق فَضَرَبَها بعَصَاهُ فَتَنَاثَرَ الْوَرَق فَقَالَ : (إِنَّ الْحَمْدُ لله ، وسُبْحَانَ الله ، والْحَمْدُ للَّهِ، ولاَ إِلــهَ إلاَّ الله ، وَاللهُ أَكْبرَ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبدِ كَمَا تَسَاقَطَ ورَقُ هذِهِ الشَّجَرَةِ). [1]

ترجمة الصحابي : انظر الحديث الرابع تقدمت ترجمته.

[1] أخرجه الترمذي (٣٥٢٧) في جامع الدعوات – باب رقم (١٠١) ، وحسنه الألباني فــي ص/ الــترمذي (٢٧٩٩) .

الحديث الثاني والثلاثون

﴿ فضل كلمة التوحيد أن الله يصدق عبده إذا قالها صادقا ﴾

عَنِ الأَغَرِّ، أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله واللهُ أَكْبَر، قَالَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَل: صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وأَنَا أَكْبَر. وإِذَا قَالَ الْعَبْدَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وحْدِي. وإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا. ولاَ شَرِيكَ لِيَ. وإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله. لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الْحَمْدُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا لِيَ الْمُلْكُ ولِيَ الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي.لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِي) .

قَالَ أَبوُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الأَغَرُّ شَيْئاً لَمْ أَفْهَمَهُ. قَالَ فَقُلْتُ لأَبِي جَعْفَر: مَا قَالَ ؟ فَقَالَ: مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّار. [1]

[1] أخرجه الترمذي (٣٤٣٠) في الدعوات – باب ما يقول العبد إذا مرض ، وابن ماجه (٣٧٩٤) في الأدب – باب فضل لا إله إلا الله ، وابن حبان (٢٣٢٥) ، وأبو يعلي(في مسنده) (٣٤٤ – ٣٤٥) وصححه الألباني في ص/ ابن ماجه (٣٠٦١) وفي السلسلة الصحيحة (١٣٩٠) وقال حفظه الله : وأخرجه عبد بن حميد في (المنتخب من (المسند) (١/١٠٤ ظاهر) من طريق عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم ، ثم قال حفظه الله : قال الترمذي (حديث حسن غريب) وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد بنحو هذا الحديث بمعناه لم يرفعه شعبة ، حدثنا بذلك بندار : حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة بهذا .

قلت وإسناده صحيح ، فإن شعبة ممن سمع من أبي إسحاق قبل اختلاطه ، وكونه موقوفا لايضره ، لأنه لا يقال بمجرد الرأي كما هو ظاهر / ويؤيده أن أبا إسحاق قد توبع على رفعه ، فقال عبد بن حميد: حدثنا مصعب بن مقدام : حدثنا إسرائيل عن أبي جعفر الفراء عن الأغر مثل حديث أبي إسحاق ، إلا أنه زاد فيه : (قال: ومن قال في مرضه ثم مات لم يدخل النار) وهذا إسناد جيد ، رجاله ثقات رجال مسلم غير أبي جعفر الفراء ، وهو ثقة ، كما في (التقريب)

غريب الحديث:

عبل العظام: رجل عبل الذراعين: أي ضخمهما، وفرس عبل الشوى: أي غليظ القوائم، و(عبل): من باب ظرف، وامرأة(عبلة) أي تامة الخلق والجمع(عبلات)(وعبال) مثل ضخمات وضخام .(مختار الصحاح) .

ترجمة الصحابي: أبو هريرة انظر الحديث السادس تقدمت ترجمته.

ترجمة الصحابي: أبو سعيد الخدري انظر الحديث السادس والعشرون تقدمت ترجمته.

شرح الحديث الثاني والثلاثون

قوله: (من رزقهن عند موته ......): على بناء المفعول ورجع نائب الفاعل إلى من، أي من أعطاه الله تعالى هذه الكلمات عند الموت ووفقه لها لم تمسه النار، بل يدخل الجنة ابتداء مع الأبرار. اللهم اجعلنا ممن رزقته إياهن. [١]

---

[١] شرح ابن ماجه للسندي(٤١٩/٢)

الحديث الثالث والثلاثون
﴿ أفضـــــــل الذكـــر لا إلـــه إلا الله ﴾

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَفضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وأَفضَــلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلهِ). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثالث تقدمت ترجمته.

قال ابن عباس: أحب كلمة إلى الله ، لا إله إلا الله، لا يقبل الله عملاً إلا بها. [٢]

شرح الحديث الثالث والثلاثون

قوله : (أفضل الذكر: لا إله إلا الله): وفي رواية: هــي أفضــل الحســنات. رواه أحمد، لأنه لا يصح الإيمان إلا به. قال الطيبي: ذكر بعض المحققين أنه إنما جعل التهليل أفضل الذكر، لأن للتهليل تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمــة التي هي معبودات في باطن الذاكر. قال تعالى: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هــواه ﴾ فيفيد نفي عموم الآلهة بقوله: لا إله، ويثبت الواحدة بقوله: إلا الله، ويعود الذكـــر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه، فيتمكن فيه ويستولي على جوارحه وجــد حــلاوة هذا من ذاق.

(وأفضل الدعاء: الحمد لله): لأن الدعاء عبارة عن ذكـــر الله، وأن يطلــب منـــه حاجته، والحمد لله يشملهما فإن من حمد الله يحمده على نعمته، والحمد على النعمة طلب المزيد وهو رأس الشكر اهـــ .

قال تعالى: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ولذا جعل فاتحة أم القرآن. قـــال الطيبـــي: إطلاق الدعاء على الحمد من باب المجاز، ولعله جعل أفضل الدعاء من حيث أنـــه

---

[١] أخرجه الترمذي(٣٣٨٠) في الدعوات – باب ما جاء أن دعوة المسلم مســتجابة ، وصححــه ابــن حبــان (٢٣٢٦)، والحاكم ٤٩٨/١ ووافقه الذهبي ، وابن ماجه (٣٨٠٠) في الأدب – باب فضل الحامدين . وحســـنه الألباني في ص/الجامع (١١٠٤)

[٢] كتاب التوحيد لابن رجب

سؤال لطيف يدق مسلكه، كما قال أمية بن الصلت حين خرج إلى بعض الملـــوك يطلب نائلته:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

ويمكن أن يكون قوله: الحمد لله من باب التلميح والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ وأي دعاء أفضل وأكمل وأجمع من ذلك ! [1]

[1] المرقاة (٢/٣٩٥)

الحديث الرابع والثلاثون

﴿ لا إله إلا الله العلي العظيم تغفر الذنوب ﴾

عَنْ عَلَيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُول اللهِ ﷺ : (أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غَفَرَ اللهُ لَكَ: وَإِنْ كُنْتَ مَغْفُوراً لَكَ، قال: (قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ العَلِيُّ الْعَظِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْحَكِيمُ الْكَرِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). [١]

ترجمة الصحابي: علي بن أبي طالب: هو أمير المؤمنين أبو الحسن وأبو تراب، علي بن أبي طالب، وأسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلمت وهاجرت .

وهو أول من أسلم من الذكور في أكثر الأقوال، وقد اختلف في سنه يومئذ، فقيل: كان له خمس عشرة سنة، وقيل: ست عشرة، وقيل أربع عشرة، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وقيل: ثماني سنين، وقيل: سبع سنين، وقيل: عشر سنين .

شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها غير تبوك، فإنه خلفه في أهله، وفيها قال له: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى).

كان آدم شديد الأدمة، عظيم العينين، أقرب إلى القصر من الطول، ذا بطن، كثير الشعر، عريض الحية، أصلح، أبيض الرأس، لم يصفه أحد بالخضاب إلا نادرا .

استخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، سنة أربعين، ومات بعد ثلاث ليال من ضربته، وقيل: ضرب ليلة إحدى وعشرين، ومات ليلة الاحد، وقيل: يوم الأحد .

وغسله ابناه: الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن سحرا، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وقيل: خمس وستون سنة، وقيل: سبع،

---

[١] أخرجه الترمذي (٣٤٩٩) في الدعوات – باب رقم (٨٤) ، وصححه الألباني في ص/ الجامع (٢٦٢١) .

وقيل: ثمان وخمسون. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياما . يلقي النبي ﷺ في عبد المطلب.

روى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وابن المسيب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزيد بن وهب، وخلق كثير من الصحابة والتابعين .

شرح الحديث الرابع والثلاثون

قوله: (ألا أعلمك): يا علي(كلمات إذا قلتهن غفر الله لك): أي الصغائر(وإن كنت مغفورا لك): الكبائر(قل لا إله إلا الله العلي العظيم...الخ) قال الحكيم: هذه جامعه. وحده أولا، ثم وصفه بالعلو والعظمة ونزهه بهما عن كل سوء منزه منه، علا عن شبه المخلوقين، وعظمه عن درك المنكرين أن تبلغه قرائحهم، ثم وحده ثانية، ثم وصفه بالحلم والكرم، حلم فوسعهم حلما، وكرم فغمرهم بكرمه، عاملوه بما يحبه فعاملهم بما يحبون، ثم عفى عنهم وقال في تنزيله: ﴿وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون﴾ ثم قال﴿ولقد عفا عنكم﴾{آل عمران١٥٢} هكذا معاملته . ثم تنزه بالتسبيح، وختمه بالتحميد .(فيض القدير٣/١١٢) .

الحديث الخامس والثلاثون

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها من غراس الجنة ﴾

عَن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لَقِيْــتُ إِبْرَاهِيــمَ لَيْلَــةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَقْرِئ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَم، وأَخْبِرْهُم أَنَّ الْجَنَّـــةَ طَيِّبَــةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وأَنَّهَا قِيعَان، وأَنَّ غِرَاسَهَا سُبُحَانَ الله ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَــهَ إِلاَّ الله، والله أَكبَـــــر).[1]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثاني عشر تقدمت ترجمته.

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٤٥٨) في الدعوات ، باب رقم (٦٠) ، وحسنه الألباني في ص/ الترمذي (٢٧٥٥)

الحديث السادس والثلاثون

﴿ فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴾

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَـوْمِ عَرَفَةَ، وخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّون مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ لَـهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير). (١)

---

١ أخرجه مالك في الموطأ ٢١٤/١ – ٢١٥ في القرآن – باب ماجاء في الدعاء ، من حديث طلحة بن عبيدالله بن كريز ، وهو مرسل صحيح الإسناد ، والترمذي (٣٥٧٩) في الدعوات – باب في دعاء يوم عرفة ، مـن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وأخرجه الطبراني ٢/١٣ في (فضل عشر ذي الحجة) عن قيس بن ربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن علي مرفوعا .

قال الشيخ عبدالقادر الأرنؤط حفظة الله: ما أخرجه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جـده ، في سنده عند الترمذي : محمد بن أبي حميد إبراهيم الأنصاري الزرقي أبو إبراهيم المدني ، لقبه حماد ، وهـو ضعيف كما قال الحافظ في (التقريب) أقول ولكن يشهد لرواية الترمذي هذه رواية مالك التي قبله ، فهو بـها حسن ، وقال الشيخ الألباني حفظه الله ، مثل قول الشيخ عبدالقادر الأرنؤط ذكر رواية الطبراني وقـال: هـذا إسناد لا بأس به في الشواهد ، رجاله ثقات غير قيس بن الربيع فهو سيئ الحفظ فحديثه حسن بمـا لـه مـن الشواهد . فمنها ما في (الموطأ) ٢٤٦/٤٢٢/١ عن زياد بن أبي زياد مولى عبدالله بن عباس بن أبي ربيعـة عن طلحة بن عبيدالله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكره دون قوله (وله الملك) وزاد في أولهه: (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفه) . وهذا مرسل صحيح ، وقد وصله ابن عدي والبيهقي في (الشـعب) عن أبي هريرة مرفوعا به وزاد (له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قديـر) كما في (الجامع الكبير) (١/١١٤/١) والزيادة على (الجامع الصغير) (ق ١/٢٩) ومنها عن عمرو بن شـعيب عن أبيه عن جده مرفوعا به نحوه ، وفيه الزيادة التي في (الموطأ) والزيادة التي فـي (الشـعب) دون قوله (يحي ويميت ، بيده الخير) أخرجه الترمذي بسند فيه ضعف بينته في (تخريج المشـكاة) (٢٥٩٨) ومنه يتبين أن قوله (يحيي) منكر لتفرد هذه الطريق به ومنها ما أخرجـه الأصبـهاني فـي (الـترغيب) (١/٣٣١ المدينة) عن أبي مروان : حدثنا عبدالعزيز بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب مرسـلا مختصر بلفظ (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وإن أفضل ما أقوله أنا وما قال النبيون من قبلي : (لا إله إلا الله) قلت: وهذا مرسل حسن الإسناد ، المطلب هو ابن عبدالله بن حنطب ، ومن دونه ثقات رجال مسلم غـير أبي مروان وهو محمد بن عثمان بن خالد الأموي صدوق يخطئ كما قال الحافظ فـي (التقريـب) .وجملـة القول : أن الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد والله أعلم (السلسلة الصحيحة (١٥٠٣)٤/٧)

ترجمة الصحابي: راوي الحديث عمرو بن شعيب هو أبو ابراهيم عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي. سمع أبان، وابـــن المســيب، وطاوسا.

روى عنه الزهري، وداود بن أبي هند، وأيوب، وابن جريج، وعطـــاء بـــن أبـــي رباح، ويحي بن سعيد، وعمر بن دينار، ولم يخرج البخاري ومســـلم عنـــه فـــي صحيحهما حديثا، لأنه يروي أحاديثه عن أبيه عن جده تفرد بما يرويه عن أبيـــه عن جده هكذا، وقد تحدث فيه، فإن كان يريد بقوله عن أبيه عن جده أبـــا نفســه وجده، فيكون قد روى عن شعيب عن محمد جده أن رسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم وهذا مرسل، لان محمدا جده لم يلق النبيﷺ ، ولا أدركه، وإن كـــان يـــرد قوله عن أبيه عن جده أبا نفسه وهو شعيب، وجد شعيب الذي هو عبد الله، فيكـــون قد ذهب إلى أن شعيبا روى عن جده عبد الله، وشعيب لم يدرك جــــده عبــدالله ، فلهذه العالة لم يخرجا حديثه في صحيحهما، وقيل أن شعيبا أدرك جده عبد الله. [(١)]

---

[١] جامع الأصول (٢/٧٢٢)

الحديث السابع والثلاثون

﴿ فضل كلمة التوحيد أنها تخرق الحجب حتى تصل إلى الله عز وجل ﴾

وَخَرَّجَ النَّسَائي حديث عَنْ رَجُلَيْن من الصَّحَابة عَنِ النَّبيِّ ﷺ : (مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْد، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، مُخْلِصاً بِـها رُوحَهُ، مُصَدِّقاً بِها لِسَانه، إلاَّ فتَقَ لَهُ السَّمَاءَ فَتْقاً، حَتَّى يَنْظُر إلى قَائِلهَا مِنْ أَهْـل الأَرْض، وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيهِ سُؤْلَهُ). [1]

---

[1] أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٨) ، قال العلامة الألباني حفظه الله: عزاه فـي (الجـامع الكبـير) (١/٤٧٧/٢) للحكيم عن يعقوب ابن عاصم قال: حدثني رجلان من الصحابة ، ويعقوب هذا من رجال مسـلم ووافقه بن حبان ، فإن كان السند إليه صحيحاً فالحديث ثابت. (انظر كلمة الإخلاص ص (٦١).

الحديث الثامن والثلاثون

﴿ فضل من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةً، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةَ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَد أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَد عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ).

قال: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ). [1]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث السادس تقدمت ترجمته.

غريب الحديث: عدل عشر رقاب: أي ما يساوي ثواب إعتاق عشر رقاب .
حرزا: حفظا. عمل اكثر منه: أي زاد على المئة . زبد البحر: رغوته وما يطفوا على وجهه.

---

[1] أخرجه البخاري ١١/١٦٨ - ١٦٩ في الدعوات - باب فضل التهليل ، وفي بدء الخلق - باب صفة إبليس ، ومسلم (٢٦٩١) في الذكر - باب فضل التهليل والتسبيح ، والموطأ ١/٢٠٩ في القرآن - باب في ذكر الله تبارك وتعالى ، والترمذي (٣٤٦٤) في الدعوات - باب رقم (٦١) .

الحديث التاسع والثلاثون والحديث الأربعون

﴿ فضل من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له عشر مرات ﴾

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ لَهُ بِعَدْلِ نَسَمَةٍ). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثاني والعشرون تقدمت ترجمته .

غريب الحديث: نسمه: هي النفس: أي كأن اعتق نفس أي مملوك .

عَنْ أَبِي أَيُوبَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكَ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ). [٢]

ترجمة الصحابي: أبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي، شهد بدرا والعقبة الثانية والمشاهد كلها، وهو ممن غلبت عليه كنيته، وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها.

ومات بالقسطنطينية مرابطا سنة إحدى وخمسين، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: سنة خمسين، وذلك مع يزيد بن معاوية لما أغزاه أبوه القسطنطينية، خرج معه

---

[١] أخرجه أحمد ٤/٢٨٥-٢٩٦-٣٠٠-٣٠٤ ، وابن حبيان (٨٦١) في الزكاة _ باب فيما يؤجر فيه المسلم . وصححه الألباني في ص/ الجامع (٦٤٣٦) .

[٢] أخرجه البخاري ١١/١٧٠ في الدعوات - باب فضل التهليل ، ومسلم (٢٦٩٣) في الذكر - باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء ، والترمذي (٣٥٨٤) في الدعوات - باب رقم (١١٦)

فمرض فلما ثقل قال لأصحابه: إذا أنا مت فاحملوني، فإذا صادفتم العدو فـادفنوني تحت أقدامكم ففعلوا، وقبره قريب من سورها معروف إلى اليوم ....

روى عنه البراء بن عازب، وجابر بن سمرة وعبدالله بن يزيد الخطمي، وعطـاء بن يزيد الليثي.[1] وله في كتب الحديث(١٥٥) حديثا .

---

[1] جامع الأصول (٢٤١/١)

الحديث الحادي والأربعون

﴿فضل من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له إذا دخل السوق ﴾

عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحيِي وَ يُمِيتُ، وَهُوَ حَيّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ) . وفي رواية عوض الثالثة: (وبَنَى لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ). [1]

ترجمة الصحابي: عمر بن الخطاب هو أمير المؤمنين أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب العدوي القرشي. وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ويعرف هاشم بذي الرمحين اسلم سنة ست من النبوة، وقيل سنة خمس، بعد أربعين رجلاً وأحدى عشرة امرأة، ويقال: به تمت الأربعون.

وظهر الإسلام يوم إسلامه، وسمي الفاروق لذلك، وشهد المشاهد كلها مع النبيﷺ وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين، وأول من جمع القرآن في الصحف، وأول من جمع الناس على قيام رمضان.

كان أبيض تعلوه حمرة، وقيل آدم طوالاً اصلع، شديد حمرة العينين، في عارضيه خفة، اعسر أيسر، يخضب بالحناء والكتم، قام بالأمر بعد موت أبي بكر بعهده إليه ونصه عليه. وطعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين.

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٤٢٤) في الدعوات – باب ما يقول إذا دخل السوق ، وابن ماجه (٢٢٣٥) في التجارات – باب الأسواق ودخولها ، والحاكم ٥٣٨/١ ، ٥٣٩ ، وأحمد ٤٧/١ ، وحسنه الألباني في ص/ الجامع (٦٢٣١) .

ودفن يوم الأحد غرة المحرم، سنة أربع وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وقيل: تسع وخمسون، وقيل ثمان وخمسون، وقيل ست وخمسون، وقيل إحدى وستون. وكانت خلافته عشر سنين ونصف رضي الله عنه، وصلى عليه صهيب، ودفن إلى جانب أبي بكر الصديق.

يلقى آباء النبي ﷺ في كعب بن لؤي.

روى عنه أبو بكر وباقي العشرة، وابنه عبدالله، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن الزبير، وأنس بن مالك، وعلقمة بن وقاص الليثي، ومالك بن أوس بن الحدثان، وغيرهم من الصحابة والتابعين. (١)

شرح الحديث الحادي والأربعون

قوله: (من دخل السوق): قال الطيبي: خصه بالذكر لأنه مكان الغفلة عن ذكر الله والاشتغال بالتجارة، فهو موضع سلطنة الشيطان ومجمع جنوده. فالذاكر هناك يحارب الشيطان ويهزم جنوده فهو خليق ما ذكر من الثواب . انتهى .

(فقال): أي سرا أو جهرا(بيده الخير): وكف الشر لقوله تعالى: ﴿قل كل من عند الله﴾{النساء٧٨} فهو من باب الاكتفاء أو من طريق الأدب، فإن الشر لا ينسب إليه .

(وهو على كل شيء) أي شيء (قدير) : تام القدرة. قال الطيبي: فمن ذكر الله فيه دخل في زمرة من قال الله في حقهم﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾

(كتب الله له): أي أثبت له أوامر بالكتابة لأجله(ومحى عنه): أي بالمغفرة، او أمر بالمحو عن صحيفته. (٢)

---

[١] (جامع الأصول ١/١٢٢)

[٢] تحفة الاحوذي (٩/٢٧٢)

الحديث الثاني والأربعون

﴿ فضل كلمة التوحيد أن الله يعجب لقائلها ﴾

عَنْ عَلِيِّ بنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: (أَنَّهُ كَانَ رِدْفاً لِعَلِيٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَلَمَّا استَوَى عَلَى ظَهْرِ الدَّابَةِ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ (ثَلاَثـــاً)، واللهُ أَكْبَرُ (ثَلاَثاً)، (وسُبَحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّـــا إِلَـــى رَبِّنَـــا لَمُنْقَلِبُونَ). ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِـــي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، ثُمَّ مَالَ إِلى أحد شِقَيْه فَضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمنينَ مَا يُضْحِكُك ؟ قَالَ: إِني كُنْت رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ ، فصنع رَسُولُ اللهِ ﷺ كَماَ صَنَعْـــتُ فَسَأَلْتُهُ كَماَ سَأَلْتَنِي، فَقَال رَسُولُ الله ﷺ : (إِنَّ اللهُ لَيَعْجَبُ إِلى الْعَبْدِ إِذَا قَالَ: لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ أَنْتَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّه لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، قَالَ: عَبْدِي عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ وَيُعَاقِبُ). [1]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثلاثون تقدمت ترجمته.

[1] أخرجه الحاكم ٢/٩٨ – ٩٩ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وصححه ايضاً الألبـــاني في ص/ الجامع (١٨٢١) والسلسلة الصحيحة (١٦٥٣) ومثل هذا الحديث أخرجه أبوداود (٢٦٠٢) والـترمذي (٢٥٥) ولكن يختلف في آخره قليلاً .

الحديث الثالث والأربعون

﴿ فضل من ردد كلمة التوحيد مع المؤذن ﴾

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ. قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ. ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مِنْ قَلْبِهِ – دَخَلَ الجَنَّةَ). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الحادي والاربعون تقدمت ترجمته.

شرح الحديث الثالث والأربعون

قوله: (إذا قال المؤذن) شرطية جزاؤها دخل الجنة (الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم): عطف فعل الشرط (الله أكبر، الله أكبر): ولم يذكر الأربع اكتفاء بذكر اثنين منها، ومن ثم ذكر واحداً من الاثنين فيما بعد كما قال (ثم قال): عطف على قول الأول. قال الطيبي: المعطوفات بثم مقدرات بحرف الشرط والفاء في فقال أي: إذا قال المؤذن (أشهد أن لا إله إلا الله): أي فقال أحدكم فحذف اختصاراً (أشهد أن، لا إله إلا الله، ثم قال): أي إذا قال المؤذن (أشهد أن محمداً رسول الله. قال):أي: فقال السامع (أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال): أي: (حي على الصلاة، قال): أي:فقال المجيب (لا حول ولا قوة إلا بالله): أي: لا حيلة في الخلاص عن موانع الطاعة ولا حركة على أدائها إلا بتوفيقه تعالى قاله المظهر،

---

[١] أخرجه مسلم (٣٨٥) في الصلاة – باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، وأبوداود (٥٢٧) في الصلاة – باب ما يقول إذا سمع المؤذن.

وهو الأظهر. وقال الطيبي: أي لا حيلة ولا خلاص عن المكروه ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله. وقال الراغب: الحال ما يختص به الإنسان وغيره من الأمور المتغيرة في نفسه وجسمه، وما يتصل به، والحول ما له من القوة في إحدى هذه الأحوال، ومنه قيل: لا حول ولا قوة إلا بالله اهـ.

والأحسن في تفسيره ما ورد مرفوعا: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله، (ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله): قال الطيبي: إن الرجل إذا دعا بحيعلتين كأنه قيل له: أقبل بوجهك وشراشرك على الهدى عاجلا، والفلاح آجلا، فأجاب: بأن هذا أمر عظيم وخطب جسيم، وهي الأمانة المعروضة على السموات والأرض، ولم يحملنها، فكيف أحملها مع ضعفي وتشتت أحوالي؟ ولكن إذا وفقني الله بحوله وقوته لعلي أقوم بها. قال النووي: يستحب إجابة المؤذن بالمثل إلا في الحيعلتين، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لكل من سمعه من متطهر ومحدث وجنب وحائض، وغيرهم ممن لا مانع له من الإجابة، فمن أسباب المنع أن يكون في الخلاء أو جماع أهله أو نحوهما، ومنها أن يكون في صلاة فلا موافقة، وإذا فرغ منها أتى بمثله. قال القاضي عياض: اختلفوا هل يقول عند سماع كل مؤذن أم الأول فقط. (ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، قال: الله أكبر، الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه): قيد للأخير أو للكل، وهو الأظهر (دخل الجنة): قال الطيبي: وإنما وضع الماضي موضع المستقبل لتحقق الموعود، قال ابن حجر: على حد قوله ﴿ أتى أمر الله ﴾ ﴿ ونادى أصحاب الجنة ﴾ والمراد أنه يدخل مع الناجين وإلا فكل مؤمن لا بد له من دخولها وإن سبقه عذاب بحسب جرمه إذا لم يعف عنه إلا أن قال ذلك بلسانه مع اعتقاده بقلبه حقيقة ما دل عليه وإخلاصه فيه.اهـ

ويمكن أن يكون المراد أنه يدخلها إن لم يكن له مانع من دخولها، أو معناه استحق دخول الجنة أو دخل موجب دخولها، وسبب وصولها وحصولها، أو دخل الجنة المعنوية في الدنيا وهي الشهادة المقرونة بالمشاهدة العظمى، ولذا قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ جنة في الدنيا وجنة في

العقبى، ويمكن أن يكون اللام في الجنة للعهد أي: دخل الجنة الموعـــودة لمجيــب الأذان .

قال ابن الهمام: وأما الحوقلة عند الحيعلة، فهو وإن خالف ظاهر قوله عليه السلام: فقولوا مثل ما يقول، لكنه ورد فيه حديث مفسر لذلك عن عمر رواه مسلم، فحملـوا ذلك العام على ما سوى هاتين الكلمتين، وتعليل الحديـــث المذكـــور بـــأن إعـــادة الموعود دعاء الداعي يشبه الإستهزاء، كما يفهم في الشاهد بخــــلاف مـــا ســـوى الحيعلتين، فإنه ذكر يثاب عليه من قاله، إذ لا مانع من صحة اعتبار المجيب بـــهما داعيا لنفسه محركا منها السواكن مخاطبا لها، فكيف وقد ورد في بعض الصــــــور طلبها صريحا في مسند أبي يعلى، عن أبي أمامة، عنه عليه الســــلام: (إذا نـــادى المنادي للصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء)، فمن نزل به كرب أو شـــدة فليتحين المنادي إذا كبر كبر، وإذا تشهد تشهد، وإذا قال حي على الصلاة قال حـــي على الصلاة، وإذا قال حي على الفلاح قال: حي على الفلاح، ثم يقول: اللـــهم رب هذه الدعوة الحق المستجابة المستجاب لها دعوة الحق، وكلمة التقوى أحينا عليـــها، وأمتنا عليها، وابعثنا عليها، واجعلنا من خيار أهلها محيانا ومماتنا، ثـــم يســـأل الله عز وجل حاجته. [1] انتهى.

---

[1] المرقاة (٣٥٠/٢)

الحديث الرابع والأربعون

﴿ فضل كلمة التوحيد هي نجاة من النار﴾

وعن أنَس رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُغير إذا طَلَعَ الْفَجْرُ، وكَانَ يَسْتَمِعُ الْأذَانَ، فَإنْ سَمِعَ أذَاناً أمْسَكَ، وَإلاَّ أغَارَ. فَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللهُ أكْبَرُ اللهُ أكْبَرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (عَلَى الفِطرة). ثُمَّ قَالَ: أشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلا الله فقال رسول الله ﷺ : (خرجت من النار). فنظروا إليه فإذا هو راعي معزى). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الرابع تقدمت ترجمته.

شرح الحديث الربع والأربعون

قوله: كان النبي ﷺ يغير: من الإغارة (إذا طلع الفجر): ليعلم أنهم مسلمون أو كفار، وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾ قال الطيبي: صيغة المضارعة تدل على الاستمرار أي: كان عادته ودأبه، والإغارة كبس القوم على غفلة وهي بالليل أولى، ولعل تأخيرها إلى الصبح لاستماع الأذان نقله ميرك. وكتب تحته: وفيه ولا أعلم ما فيه إلا أن يقال الاستمرار مستفاد من كان لا من المضارعة، والله أعلم.

(وكان يستمع الأذان): أي: يطلب سماعه ليعرف حالهم به (فإن سمع أذاناً): وضعه موضع ضميره إشعاراً بأن من حقه وكونه من علامات الذين أن لا يتعرض لأهله (أمسك): أي: عن الإغارة وتركها (وإلا): أي: وإن لم يسمع الأذان (أغار): من الإغارة، وهو النهب.قيل: استماعه عليه السلام للأذان وانتظاره إياه كان حذراً من أن يكون فيهم مؤمن فيغير عليه غافلاً عن حاله، وهذا يدل على جواز مقاتلة الكفار، والإغارة عليهم قبل الدعوة والإنذار، إلا أن الدعوة مستحبة،

---

[١] أخرجه مسلم (٣٨٢) في الصلاة – باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان.

وبه قال الثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، وإسحاق ومنع مالك من مقاتلتهم قبلها كذا ذكره ابن الملك. (فسمع): الفاء فصيحة أي: لما كان عادته ذلك استمع فسمع (رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر. فقال رسول الله ﷺ : (على الفطرة): أي: أنت أو هو على الدين أو السنة أو الإسلام، لأن الأذان لا يكون إلا للمسلمين (ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ : (خرجت): أي: بالتوحيد (من النار): يعني: بسبب أنك تركت الشرك بالله بذلك القول قاله ابن الملك. وقال الطيبي: إشارة إلى استمرار تلك الفطرة وعدم تصريف الوالدين فيه بالشرك، وأما خرجت بلفظ الماضي، فيحتمل أن يكون تفاؤلا وأن يكون قطعا لأن كلامه عليه السلام حق وصدق (فنظروا): أي: الصحابة (إليه): أي: إلى ذلك الرجل (فإذا هو): أي: المؤذن (راعي معزى): بكسر الميم بمعنى المعز، وهو اسم جنس، وواحد المعزى ماعز وهو خلاف الضأن قاله الطيبي وهو بالتنوين، وقيل بتركه، وقيل كل ينونونها في النكرة. وقال سيبويه: معزى منون مصروف. وقيل: الألف المحذوف للإلحاق لا للتأنيث. (١)

---

١ المرقاة (٣٥٤/٢)

الحديث الخامس والأربعون

﴿ فضل هذا الدعاء بعد الأذان ﴾

عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قَالَ : (مَـــنْ قَـــالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ). [1]

ترجمة الصحابي : سعد بن أبي وقاص: هو أبو إسحاق بن أبي وقاص واسم أبـــي وقاص: مالك بن وهيب، ويقال: أهيب،بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مـــرة بن كعب بن لؤي بن غالب الزهري القرشي. وأمه حمنة بنت سفيان، وقيل: بنـــت أبي سفيان بن عبد شمس بن عبد مناف.

أسلم قديماً على يد أبي بكر الصديق وهو ابن سبع عشرة سنة، وقال: كنت ثـــالث الإسلام، وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله.

شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، كان قصيراً غليضاً، ذا هامة، شـــأن الأصـــابع، آدم، أفطس، أشعر الجسد، مات في قصره بالعقيق قريباً من المدينة، فحمل علـــى رقاب الرجال إلى المدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي علـــى المدينة، ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين. وقيل: سنة سبع وخمسين، وقيل: ســـنة ثمان وخمسين، وله بضع وسبعون سنة، وقيل: اثنتان وثمانون.

وهو آخر العشرة موتاً، ولاه عمر وعثمان الكوفة.

يلقى آباء النبي ﷺ في كلاب بن مرة.

---

[1] أخرجه مسلم (٣٨٦) في الصلاة – باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، وأبو داود (٥٢٧) في الصلاة – باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، والترمذي (٢١٠) في الصلاة – باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء ، والحاكم ٢٠٣/١.

روى عنه عبدالله بن عمر، وجابر بن سمرة، وعامر، ومحمد، ومصعب بنوه، وإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، وابن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وقيس بن أبي حازم. (١)

شرح الخامس والأربعون

قوله: (من قال حين يسمع المؤذن): أي صوته أو أذانه أو قوله، وهو الأظهر، وهو يحتمل أن يكون المراد به حين يسمع تشهده الأول أو الأخير، وهو قوله: آخر الأذان لا إله إلا الله، وهو أنسب، ويمكن أن يكون معنى يسمع يجيب، فيكون صريحا في المقصود وأن الظاهر أن الثواب المذكور مترتب على الإجابة بكمالها مع هذه الزيادة، ولأن قوله بهذه الشهادة في أثناء الأذان ربما يفوته الإجابة في بعض الكلمات الآتية. (أشهد أن لا إله إلا الله وحده): أي: منفردا بوحدانيته (لا شريك له) في ذاته وصفاته زيادة تأكيد (وأن محمدا عبده): قدمه إظهارا للعبودية وتواضعا للحضرة الربوبية (ورسوله): أظهره تحدثا بالنعمة، وفيهما إشارة إلى الرد على النصارى واليهود، والإضافة فيهما للاختصاص، والمراد بهما الفرد الكامل الموصوف بهما (رضيت بالله ربا): تمييز أي: بربوبيته وبجميع قضائه وقدره، فإن الرضا بالقضاء باب الله الأعظم، وقيل حال أي مربيا ومالكا وسيدا ومصلحا (وبمحمد رسولا): أي: بجميع ما أرسل به وبلغه إلينا من الأمور الإعتقادية وغيرها (وبالإسلام): أي: بجميع أحكام الإسلام من الأوامر والنواهي (دينا): أي: اعتقادا أو انقيادا. وقال ابن الملك: الجملة استئناف كأنه قيل: ما سبب شهادتك ؟ فقال: رضيت بالله. وأما ما ذكره ابن حجر من تقديم وبالإسلام دينا وتأخير وبمحمد رسولا، فمخالف لرواية أصل الكتاب على ما في النسخ المصححة التي مطابقة للدراية أيضا، فإن حصول الإسلام إنما يكون بعد تحقق الشهادتين (غفر له ذنبا): أي: من الصغائر، وهو يحتمل أن يكون إخبارا وأن يكون دعاء قاله ابن الملك. والأول هو المعول. (٢)

---

١ (جامع الأصول ١/١٢٧)

٢ المرقاة (٢/٣٥٥)

الحديث السادس والأربعون

﴿ كلمة التوحيد افضل شعب الإيمان ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (الإيمَانُ بِضْع وَسَبْعُونَ، أو بِضْع وَسِتُّونَ شُعْبَةً. فَأَفْضَلُها قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث السادس تقدمت ترجمته.

شرح الحديث السادس والأربعون

قال النووي رحمه الله: قوله (فأفضلها قول لا إله إلا الله) أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته. [٢]

---

[١] أخرجه البخاري ٤٨/١ – ٤٩ في الإيمان – باب أمور الإيمان ، ومسلم (٣٥) في الإيمان – باب بيان عدد شعب الإيمان ، وأبو داود (٤٦٧٦) في السنة – باب في ورد الإرجاء ، والترمذي (٢٦١٤) في الإيمان – باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، والنسائي ١١٠/٨ في الإيمان – باب ذكر شعب الإيمان ، وابن ماجه (٥٧) في المقدمة.

[٢] (شرح مسلم ٥/٢)

الحديث السابع والأربعون

﴿ فضل التوحيد أن جعل الله للعباد حق لهم عليه﴾

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:(كُنْتُ رِدْفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلاَّ مُؤَخَّرَةُ الرَّحْلِ، قَالَ:(يا مُعَاذُ بْنَ جبَلٍ) قُلْتُ: لَّبيكَ يا رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ:(يَا مُعَاذُ بْنَ جبَلٍ)، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ:(يَا مُعَاذُ بْنَ جبَلٍ)، فَقلتُ: لَبيّكَ يَا رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، قَالَ:(هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العبَادِ؟) قَالَ: قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعلَم، قَالَ: (فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوه ولاَ يُشْرِكُوا بِهِ شيْئاً)، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: (يَا مُعَاذُ بْنَ جبَلٍ)، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، قَالَ: (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعلوُا ذَلِكَ؟) قُلْتُ: اللهُ ورَسُولهُ أعلَم، قَالَ: (حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُم).
وَفِي رِوَايةٍ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْر، فَقَالَ: (يَامُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ)،(ومَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟) قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَ: (فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه ولاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ: أَنْ لاَ يُعَذِّب مَنْ لاَ يُشْرِك بِهِ شيْئاً)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَفلاَ أُبَشِّرُ النَّاس، قَالَ: (لاَ تُبَشِّرهُم فيَتَّكلوُا).

وَفِي رِوَايةَ، قَالَ مُعَاذُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (أَتدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ ......وذكر نحو الأولى) .

وَفِي رِوَايةِ التِّرْمِذي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَتدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟) فَقُلْتُ: اللهُ ورَسُولهُ أَعْلَم، قَالَ: (فَإِنَّ حقَّهُ عَلَيْهِمْ: أَنْ يَعْبُدُوه ولاَ يُشْرِكُوا بِهِ شيْئاً،

قَالَ: فَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَى اللهِ إِذا فَعَلوُا ذَلِكَ ؟) قُلْتُ: اللهُ ورَسُولهُ أعلَمْ، قَـــالَ: (أَنْ لاَ يُعَذِّبَـــهُم). [1]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث التاسع عشر تقدمت ترجمته.

شرح الحديث السادس والأربعون

قوله: (كنت ردف رسول الله ﷺ): الردف والرديف الراكب خلف الراكب بأذنـــه، وردف كل شيء موخره، وأصله من الركوب على الردف وهو العجز، ولهذا قيل للراكب الأصلي: ركب صدر الدابة.

وردفت الرجل إذا ركبت وراءه، وأردفته إذا أركبته وراءك.

وقد أفرد ابن منده أسماء من أردفه النبي ﷺ خلفه فبلغوا ثلاثين نفسا. [2]

قال النووي رحمه الله: قوله(ردف) فهو بكسر الراء وإسكان الدال، هذه الروايـــة المشهورة التي ضبطها معظم الرواة. وحكى القاضي عياض رحمـــه الله، أن أبـــا علي الطبري الفقيه الشافعي أحد رواة الكتاب ضبطه بفتح الراء وكســـر الـــدال. والردف هو الراكب خلف الراكب يقال منه: ردفته أردفه بكســـر الـــدال فـــي الماضي وفتحها في المضارع إذا ركبت خلفه وأردفته أنا، وأصله من ركوبه على الردف وهو العجز. قال القاضي: ولا وجه لرواية الطبري إلا أن يكون فعل هنـــا اسم فاعل، مثل عجل، وزمن، إن صحت رواية الطبري والله أعلم. [3]

وقوله(كنت ردف..) فيه جواز الأرداف على الدابة، وفضيلة معاذ رضي الله عنه.

---

[1] رواه البخاري ٣٠٠/١٣ في التوحيد، باب – ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيـد الله تبارك وتعالى، وفي الجهاد، باب اسم الفرس والحمار وفي اللباس، باب حمل صاحب الدابة غيره بيـــن يديـــه وفي الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، وفي الرقاق، باب من جاهد نفسه، وفي العلم، باب من خـــص بالعلم قوما دون قوم، ومسلم رقم(٣٠) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيـــد دخـل الجنـــة قطعا، والترمذي رقم(٢٦٤٥) في الإيمان، باب ما جاء في تراق هذه الأمة .

[2] فتح الباري (٣٢٧/١٠)

[3] شرح مسلم (٢٣٠/١)

وفيه: تواضعه ﷺ لركوب الحمار والأرداف عليه، خلافا لما عليه أهل الكبر. (١)

قوله: (ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل): أرد المبالغة في شدة قربه ليكون أوقع في نفس سامعه لكونه أضبط.

وأما مؤخرة الرحل: فبضم الميم بعده همزة ساكنه، ثم خاء مكسورة هذا هو الصحيح. وفيه لغة أخرى: مؤخرة: بفتح الهمزة والخاء المشددة. قال القاضي عياض رحمه الله: أنكر ابن قتيبة فتح الخاء، وقال ثابت: مؤخرة الرحل ومقدمتها بفتحهما. ويقال: آخرة الرحل، بهمزة ممدودة وهذه أفصح وأشهر. وقد جمع الجوهري في صحاحه فيها ست لغات.....وآخرة الرحل هي العود الذي يكون خلف الراكب. (٢)

وفي رواية(ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل): بفتح الراء وسكون الحاء المهملة، وهو للبعير كالسرج للفرس. وآخره بالمد وكسر المعجمة بعدها راء، هي العود الذي يجعل خلف الراكب يستند إليه. (٣)

قوله: (يا معاذ بن جبل): ويجوز فيها وجهان لأهل العربية أشهرها وأرجحهما فتح معاذ، والثاني ضمه، ولا خلاف في نصب ابن. (٤)

قال ابن حجر رحمه الله: قوله: (قال يا معاذ بن جبل) هو خبر إن المتقدمة، وابن جبل: بفتح النون، وأما معاذ: فبالضم، لأنه منادى مفرد علم، وهذا اختيار ابن مالك، لعدم احتياجه إلى تقدير، واختار ابن الحاجب النصب على أنه مع ما بعده كاسم واحد مركب كأنه أضيف، والمنادى المضاف منصوب. وقال ابن التين: يجوز النصب على أن قوله(معاذ) زائد، فالتقدير يا ابن جبل، وهو يرجع إلى كلام ابن الحاجب بتأويل. (٥)

---

١ فتح المجيد ص (٣٧)

٢ شرح مسلم (٢٣٠/١)

٣ فتح الباري (٢٨٤/١١)

٤ شرح مسلم(٢٣١/١)

٥ فتح الباري (١٨٢/١)

قوله: (قلت لبيك يا رسول الله وسعديك): اللب بفتح اللام معناه هنا الاجابة، والسعد المساعدة، كأنه قال: لبا لك وإسعادا لك، ولكنهما ثنيا على معنى التأكيد والتكثير أي إجابة بعد إجابة وإسعادا بعد إسعاد وقيل في أصل لبيك واشتقاقها غير ذلك.[1]

قال النووي رحمه الله: في معنى(لبيك) أقوال نشير هنا إلى بعضها، وسيأتي إيضاحها في كتاب الحج إن شاء الله تعالى. والأظهر أن معناها: إجابة لك بعد إجابة للتأكيد، وقيل معناه قربا منك وطاعة لك، وقيل أنا مقيم على طاعتك، وقيل محبتي لك، وقيل غير ذلك.

ومعنى(سعديك) أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة.

وأما تكريره ﷺ نداء معاذ رضي الله عنه فلتأكيد الاهتمام بما يخبره، وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه. وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لهذا المعنى. والله أعلم. [2]

تفضل الله على العباد:

قوله: (هل تدري ما حق الله على العباد): أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم. [3]

قال النووي رحمه الله: قال صاحب التحرير: اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة. والله سبحانه وتعالى هو الحق الموجود الأزلي الباقي الأبدي، والموت والساعة والجنة والنار حق، لأنها واقعة لا محالة .

وإذا قيل للكلام الصدق حق، فمعناه أن الشيء المخبر عنه بذلك الخبر واقع متحقق لا تردد فيه، وكذلك الحق المستحق على العبد من غير أن يكون فيه تردد وتحير . فتحقق الله تعالى على العباد معناه أنه متحقق لا محالة. هذا كلام صاحب التحرير.

---

[1] فتح الباري (١٨٢/١)

[2] شرح مسلم (٢٣١/١)

[3] فتح المجيد ص (٣٧)

وقال غيره: إنما قال حقهم على الله تعالى على جهة المقابلة لحقه عليهم، ويجوز أن يكون من نحو قول الرجل لصاحبه: حقك واجب علي: أي متأكد قيامي به. ومنه قول النبي ﷺ (حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام) والله أعلم. [1]

قوله: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا): المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليهم عدم الشرك لأنه تمام التوحيد. والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يعبدون آلهة أخرى، فاشترط نفي ذلك .

وتقدم أن الجملة حالية، والتقدير(يعبدونه) في حال عدم الإشراك به.

قال ابن حيان: عبادة الله إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح. ولهذا قال في الجواب(فما حق العباد إذا فعلوا ذلك) فعبر بالفعل ولم يعبر بالقول. [2]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

حق الإله عبادة بالأمر لا ... بهوى النفوس فذاك الشيطان
من غير إشراك به شيئا هما ... سببا النجاة فحبذ السببان
لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الاصلان
والناس بعد فمشرك بإلهه ... أوذوا بتداع أو له الوصفان

(فمن صرف شيئاً من العبادة التي هي حقه سبحانه لا يستحقها أحد سواه لغيره كالدعاء والاستعانة فقد آمن بالطاغوت وأشرك بالله وكفر). [3]

مفهوم العبادة:

والعبادة: الطاعة على كمالها فلا يطاع إلا الله، والعبادة هي الطاعة مع غاية الخضوع، وأن لفظ العباد مأخوذ من العبادة فتكثر إضافة إلى الله تعالى، وأما لفظ العبيد فمأخوذ من العبودية بمعنى الرق فتكثر إضافته إلى غير الله تعالى، فلهذا قال العلماء: إن العبادة لا تكون في اللغة إلا لله تعالى، وتدل الأساليب الصحيحة، واستعمال العربي الصُّراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية،

---

[1] شرح مسلم (١/٢٣٢)
[2] فتح الباري (١١/٢٨٤)
[3] قرة العيون ص(٢٢)

ناشئ عن استشعار القلوب عظمة المعبود، وللعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى، الذي هو روح العبادة وسرها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ إياك نعبد ﴾ يعني: إياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك. [١]

والعبادة عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، والعبادة الإطاعة، فكل من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده، ومن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أربابا.

وقد روى والترمذي[٢] وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ {التوبة٣١} فقلت: إنهم ما كانوا يعبدونهم، قال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه الله فتحلونه ؟) قال: (فتلك عبادتكم إياهم).

وقال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين:﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا، وكانوا لنا خاشعين﴾ {الأنبياء٩٠} فالرغبة والرهبة والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالمحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك مختص بالله تعالى، لا يصلح منه شيء لغيره تعالى كائنا من كان.

واعلم أن مدلول لا إله إلا الله التزام بعبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دون الله، وهذا هو أصل دين الإسلام وقاعدته، ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، والفارق بين المؤمنين والكافرين من الأنام، وهذا هو قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ و ﴿ أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ {يوسف٤٠} و ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾{البينة٥} ولكن قد تلطف الشيطان في التحايل والمكر والمكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين على

---

[١] أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في (الدر المنثور ٣٧/١ – ط ٢)

[٢] أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) في التفسير – باب ومن سورة التوبة ، والبيهقي (١١٦/١٠) ، وابن جرير (٨٠/١٠ –٨١) والمزي في تهذيب الكمال (١٠٩/٢)، وانظر الدر المنثور ٢٣٠/٣ ، وحسنه الألباني في ص/الترمذي (٢٤٧١) .

كثير ممن ينتسب إلى الإسلام في قالب محبة الصالحين والتشفع بهم، وأن لهم جاها ومنزلة يشفعون بها لمن دعاهم ولاذ بهم.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الدعاء مخ العبادة) [1] فلا يدعى غير الله فيما لا يقدر عليه، فتوحيد العبادة أن تخص جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده، ومن أنواعها: الاستعانة والاستغاثة، والنداء في الشدائد والرجاء والنذر والنحر، فلا يكون شيء منها إلا لله وحده، فمن يفعل شيئا من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة، وصار من يفعل له هذه الأمور إلها لعابديه، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرا أو حجرا أو قبرا أو جنيا، وصار بهذه العبادة – أو بأي نوع منها – عابدا لذلك المخلوق وإن أقر بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، بل لا بد من الكفر بالطواغيت وكل ما يعبد من دون الله، وقد قال الله عز وجل:﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾{الكهف١١٠}

اعلم أن كثيرا من الناس يسمون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل ما يفعل جميع المشركين، من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم، ولكنهم لا يسمون أعمالهم هذه عبادة. فيفسدون في اللغة، كما يفسدون في الدين، وقد يسمونها توسلا وشفاعة، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء، ولكنهم لا يأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء، وإنما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الأسماء، ولو لم يكن منهم إلا دعاء غير الله نداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، لكفى ذلك عبادة له وشركا بالله عز وجل، وقال النبي ﷺ (الدعاء هو العبادة) رواه أبو داود والترمذي[2] وهذا يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء، ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في أكثر الآيات الواردة في ذلك، يعلم كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عباداتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي

---

[1] سيأتي تخريجه

[2] أخرجه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٣٣٧٢) ، والنسائي في (الكبرى) كما في (تحفة الأشراف) (٩/٣٠) ، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وصححه الألباني في ص/ الجامع (٣٤٠٧) ، أما الحديث المتقدم الدعاء مخ العبادة حديث ضعيف ضعفه الألباني في ض/ الجامع (٣٠٠٣).

يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس، ولا سيما عند الشدة، وأما ما عدا الدعاء من العبادات في جميع الأديان فكله أو جله تعليمي تكليفي يفعل بالتكلف والقدوة، وقد يكون في الغالب خاليا عن الشعور الذي به يكون القول أو العمل عبادة، وهو الشعور بالسلطة الغيبية التي هي وراء الأسباب العادية، أما ترى إلى حافظ الأدعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبه مشغول بشيء آخر وإنما العبادة جد العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس، وهذا الدعاء الخالص الذي يغشاه جلال الإخلاص. (١)

إمتنان الله على عباده بأن جعل لهم حق عليه:

قوله: (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك) الضمير لما تقدم من قوله(يعبدوه ولا يشركوا به شيئا). (٢)

قوله: (حق العباد على الله أن لا يعذبهم): في رواية ابن حبان من طريق عمرو بن ميمون(أن يغفر لهم ولا يعذبهم) وفي رواية أبي عثمان(يدخلهم الجنة) وفي رواية أبي العوام مثله وزاد(يغفر لهم)، وفي رواية عبد الرحمن بن غنم(أن يدخلهم الجنة) .

قال القرطبي: حق العباد على الله ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق وقوله الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد، فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر، إذ لا أمر فوقه، ولا حكم للعقل، لأنه كاشف لا موجب. انتهى .

وتمسك بعض المعتزلة بظاهره ولا متمسك لهم فيه مع قيام الاحتمال. قد تقدم في العلم عدة أجوبه غير هذه، ومنها: أن المراد بالحق هنا المتحقق الثابت أو الجدير، لأن إحسان الرب لمن لم يتخذ ربا سواه جدير في الحكمة أن لا يعذبه. أو المراد أنه كالواجب في تحققه وتأكده، أو ذكر على سبيل المقابلة. (٣)

---

١ مفتاح الجنة ص (٦٥ – ٧٠)

٢ فتح الباري (٢٨٥/١١)

٣ فتح الباري (٢٨٥/١١)

قال في قرة العيون ص٢٢: ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكن هو سبحانه أحق ذلك على نفسه تفضلا وإحسانا على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغبتهم ورهباتهم إلى أحد سواه، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده. والله أعلم .

قوله: (على حمار يقال له عفير): بعين مهملة مضمومة، ثم فاء مفتوحة هذا هو الصواب في الرواية وفي الأصول المعتمدة وفي كتب أهل المعرفة بذلك .

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: وقول القاضي عياض رحمه الله أنه بعين معجمة متروك. قال الشيخ: وهو الحمار الذي كان له ﷺ، قيل إنه مات في حجة الوداع.

قال: وهذا الحديث يقتضي أن يكون هذا في مرة أخرى غير المرة المتقدمة في الحديث السابق، فإن مؤخرة الرحل تختص بالإبل ولا تكون على حمار .

قلت: ويحتمل أن يكونا قضية واحدة وأراد بالحديث الأول قدر مؤخرة الرحل والله أعلم.[1]

قال ابن حجر رحمه الله: قوله(حمار يقال له عفير): بالمهملة والفاء مصغرا مأخوذ من العفر، وهو لون التراب كأنه سمى بذلك للونه. والعفرة: حمرة يخالطها بياض وهو تصغير أعفر أخرجوه عن بناء أصله، كما قالوا سويد في تصغير أسود. ووهم من ضبطه بالغين المعجمه، وهو غير الحمار الآخر الذي يقال له يعفور، وزعم ابن عبدوس أنهما واحد، وقواه صاحب الهدي ورده الدمياطي فقال: عفير أهداه المقوقس، ويعفور أهداه فروة بن عمرو، وقيل بالعكس .

ويعفور: بسكون المهملة وضم الفاء: هو اسم ولد الظبي. كأنه سمي بذلك لسرعته.

قال الواقدي: نفق يعفور منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع. وبه جزم النووي عن ابن الصلاح .

وقيل طرح نفسه في بئر يوم مات رسول الله ﷺ، ووقع ذلك في حديث طويل ذكره ابن حبان في ترجمة محمد بن مرثد في الضعفاء، وفيه(أن النبي ﷺ غنمه

---

[1] شرح مسلم (١/٢٣٢)

من خيبر وأنه كلم النبي ﷺ، وذكر له أنه كان ليهودي وأنه خرج من جده ستون حمارا لركوب الأنبياء فقال ولم يبق منهم غيري وأنت خاتم الأنبياء. فسماه يعفورا وكان يركبه في حاجته ويرسله إلى الرجل فيقرع بابه برأسه فيعرف أنه أرسل اليه، فلما مات النبي ﷺ جاء إلى بئر أبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها فصارة قبره قال ابن حبان: لا أصل له وليس سنده بشيء. (١)

من فوائد الحديث :

١. جواز ركوب اثنين على حمار .

٢. فيه تواضع النبي ﷺ.

٣. فضل معاذ وحسن أدبه في القول وفي العلم برده لما لم يحط بحقيقته إلى علم الله ورسوله.

٤. قرب منزلته من النبي ﷺ .

٥. وفيه تكرار الكلام لتأكيده وتفهيمه .

٦. استفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه منه .

٧. وقال ابن رجب في شرحه لأوائل البخاري قال العلماء: يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا. وأن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهاد في العمل وخشية لله عز وجل، فأما من لم يبلغ منزلته فلا يؤمن من أن يقتصر اتكالا على ظاهر هذا الخبر. وقد عارضه ما تواتر من نصوص الكتاب والسنة أن بعض عصاة الموحدين يدخلون النار، فعلى هذا فيجب الجمع بين الأمرين، وقد سلكوا في ذلك مسالك .

أحدهما: قول الزهري أن هذه الرخصة كانت قبل نزول الفرائض والحدود، وسيأتي ذلك عنه في حديث عثمان في الوضوء. واستبعده غيره. (٢)

---

[١] فتح الباري (٤٥/٦)

[٢] فتح الباري (٢٨٥/١١)

من أن النسخ لا يدخل الخبر، وبأن سماع معاذ لهذا كان متأخرا عن أكثر نزول الفرائض.

وقيل لا نسخ، بل هو على عمومه، ولكنه مقيد بشرائط كما ترتب الأحكام على أسبابها المقتضية المتوقفة على انتفاء الموانع، فإذا تكامل ذلك عمل المقتضى عمله. والى ذلك أشار وهب بن منبه بقوله المتقدم في كتاب الجنائز في شرح أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة ليس من مفتاح إلا وله أسنان.

وقيل: المراد ترك دخوله نار الشرك، وقيل: ترك تعذيب جميع بدن الموحدين، لأن النار لا تحرق مواضع السجود. وقيل: ليس ذلك لكل من وحد وعبد بل يختص بمن أخلص، والإخلاص يقتضي تحقيق القلب بمعناها، ولا يتصور حصول التحقيق مع الإصرار على المعصية لامتلاء القلب بمحبة الله تعالى وخشيته، فتنبعث الجوارح إلى الطاعة وتنكف عن المعصية. انتهى ملخصا.

قوله: (لا تبشرهم فيتكلوا): أي يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال .

قال الوزير بن المظفر: لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة، فأما الأكياس الذين إذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة، ورأوا أن زيادة النعم تستدعي زيادة الطاعة، فلا وجه لكتمانها عنهم. [1]

قال: الشيخ محمد صالح العثيمين حفظه الله: ومعنى الحديث أن الله لا يعذب من لا يشرك به شيئا. وأن المعاصي تكون مغفورة بتحقيق التوحيد، ونهى ﷺ عن أخبارهم لئلا يعتمدوا على هذه البشرى وهم لا يفهمون معناها .

لان المعاصي صادرة عن الهوى، وهذا نوع من الشرك قال تعالى:﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [2] {الجاثية٢٣}

قال شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: وفيه مسائل:

١. معرفة حق الله علينا
٢. معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .
٣. أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

---

[1] فتح المجيد ص (٣٩)

[2] القول المفيد(١/٤٤)

٤. جواز كتمان العلم للمصلحة .

٥. استحباب بشارة المسلم بما يسره .

٦. الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

٧. قول المسؤول عما لا يعلم (الله ورسوله أعلم) .

٨. جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون البعض .

قال العلامة الشيخ حامد الفقي رحمه الله : يعني العلم الزائد على القدر المحتاج إليه في إقامة الدين وإلا لم يجز، بدليل وعيد الله الشديد على كتمان العلم في قوله﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا﴾{البقرة١٥٩ ـ١٦٠} وقوله﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾{آل عمران١٨٧} وقول النبي ﷺ: (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

٩. تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه .

١٠. جواز الإرداف على الدابة .

١١. فضيلة معاذ بن جبل .

١٢. عظم شأن هذه المسألة.[1]

[1] كتاب التوحيد/ فتح المجيد ص (٤١)

الحديث الثامن والأربعون

﴿ فضل التوحيد في الأمن التام المطلق يوم القيامة والهداية في الدنيا والآخرة﴾

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ﴿ الَّذِينَ آمنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قَالَ أَصحَـــابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَنَزَلَتْ﴿ لاَ تُشْـــرِكْ بـــاللهِ إِنَّ الشِّـــرْكَ لَظُلْـــمٌ عَظِيـــمٌ ﴾ .

وَفِي رِوَايَة: ﴿ لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْم ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَـــى الْمُسْلِمِينَ. فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: (لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّماَ هُو الشِّرْكَ ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانَ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ(يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْـــمٌ عَظِيمٌ). [١]

ترجمة الصحابي: انظر الحديث الثاني تقدمت ترجمته.

شرح الحديث الثامن والأربعون

هذا الحديث يبين فضل التوحيد الخالص وأن صاحبه له الامن يوم القيامة. والهداية في الدنيا والآخرة .

اعظم الظلم الشرك بالله :

قال ابن كثير رحمه مفسرا قوله تعالى: ﴿ الذيـــن آمنـــوا ولـــم يلبســـو إيمانـــهم بظلم...﴾الآية. قال رحمه الله: أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شـــريك له، ولم يشركوا به شيئا، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة. [٢]
وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾: أي وحدوا وصدقوا وأخلصوا .

---

[١] أخرجه البخاري ٢/٤٨٤ في الأنبياء - باب قول الله تعالى(ولقد آتينا لقمان الحكمة) وفي التفسير - باب لـم يلبسوا إيمانهم بظلم، وفي الإيمان - باب ظلم دون ظلم

[٢] تفسير ابن كثير(٢/٢٤٥)

(ولم يلبسوا): يخلطوا، (إيمانهم): توحيدهم، (بظلم): بشرك .

قوله: (أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟): قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: والذي شق عليهم أنهم ظنوا أن الظلم المشروط عدمه هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فبين لهم النبيﷺ ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله، فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، فإن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله تعالى:﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير﴾{ فاطر٣٢} وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب كما قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾{الزلزلة٧-٨}

ما يصيب المسلم من تعب ونصب وحزن وغير ذلك تكفير لذنوبه :

وقد سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أينا لم يعمل سوءا ؟ فقال: (يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ أليس يصيبك اللأوا ؟ فذالك ما تجزون به) فبين أن المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب. فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلم نفسه بما دون الشرك. كان له الأمن التام والاهتداء التام. ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والاهتداء المطلق. بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى: وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة. ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه، وليس مراد النبي ﷺ بقوله(إنما هو الشرك) أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام. فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام اللذين يكونون بهما مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة

الله عليهم ولا بدلهم من دخول الجنة. وقوله(إنما هو الشرك) إن أراد به الأكبر. فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة. وإن كان مراده جنس الشرك. يقال ظلم العبد نفسه، كبخله لحب المال ببعض الواجب ـ هو شرك أصغر. وحبه ما يبغضه الله تعالى حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الشرك بهذا الاعتبار انتهى ملخصا .

من فضل التوحيد الأمن والاهتداء :

قال ابن القيم: أجابهم صلوات الله وسلامه عليه بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك. وهذا والله هو الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل. فإن الظلم المطلق التام هو الشرك، الذي هو وضع العبادة في غير موضعها. والأمن والهدى المطلق: هما الأمن في الدنيا والآخرة. والهدى إلى الصراط المستقيم. فالظلم المطلق التام رافع للأمن وللاهتداء التام. ولا يمنع أن يكون الظلم مانعا من مطلق الأمن ومطلق الهدي. فتأمله. فالمطلق للمطلق، والحصة للحصة، انتهى ملخصا. [١]

لان من أتى به تاما فله الأمن التام والاهتداء التام، ودخل الجنة بلا عذاب، ومن أتى به ناقصا بالذنوب التي لم يتب منها، فإن كانت صغائر كفرت باجتناب الكبائر، لآية {النساء}و{النجم} وإن كانت كبائر فهو في حكم المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ومئآله إلى الجنة، والله أعلم. [٢]

قال الشيخ بن عثيمين حفظه الله: وإذا انتفى الظلم حصل الأمن لكن هل هو آمن كامل؟

الجواب: أنه إن كان الإيمان كاملا لم يخالطه معصية، فالأمن أمن مطلق أي:كامل، وإذا كان الإيمان مطلق إيمان ـ غير كامل ـ فله مطلق الأمن أي: أمن ناقص .

---

[١] فتح المجيد من ص (٤٣ إلى ٤٥)

[٢] تيسير العزيز الحميد ص (٧١)

مثال ذلك: مرتكب الكبيرة: آمن من الخلود في النار، وغير آمن من العذاب، بل هو تحت المشيئة قال الله تعالى:﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾{النساء١١٦}.

أما من وافى الله سبحانه محققا للتوحيد، فإنه آمن أمنا مطلقا، آمن من الخلود في النار، وآمن من العذاب، لأن هذا أقصى ما عنده من الأيمان.

وهذه الآية قالها الله تعالى حكما بين إبراهيم وقومه حين قال لهم:﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾. إلى قوله: ﴿ وهم مهتدون ﴾ على أنه قد يقول.

قائل: إنها من كلام إبراهيم ليبين لقومه، ولهذا قال بعدها (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) .

قوله: (الأمن) أل فيها للجنس، ولهذا فسرنا الأمن إما أنه أمن مطلق، وأما أنه مطلق أمن حسب الظلم الذي تلبس به .

قوله: (وهم مهتدون) أي: في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل، فاالإهتداء بالعلم: هداية الإرشاد. والاهتداء بالعمل: هداية توفيق .

ومهتدون في الآخرة إلى الجنة قال تعالى:﴿ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾{الصافات ٢٢} هذه هداية الآخرة وهي للذين ظلموا إلى صراط الجحيم، فيكون مقابلها أن الذين أمنوا ولم يظلموا يهدون إلى صراط النعيم .

وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى: ﴿أولئك لهم الأمن﴾ أن الأمن في الآخرة، والهداية في الدنيا، والصواب: أنها عامة بالنسبة للأمن والهداية في الدنيا والآخرة.[١]

قوله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾: أي هو أعظم الظلم. [٢]

---

[١] القول المفيد (٥٧/١)

[٢] تفسير ابن كثير(٧٠٨/٣)

الحديث التاسع والأربعون

﴿ فضل التوحيد في تكفير الذنوب ﴾

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللهُ تعَالى: يَا ابْـنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا بْـنَ آدَمَ، لَو بَلَغتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاء، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّـكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِـي شَـيْئاً لأَتَيْتُـكَ بِقُرَابِـها مَغْفِرَةً). [1]

ترجمة الصحابي : انظر الحديث الرابع تقدمت ترجمته.

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٥٣٤) في الدعوات - باب غفران الذنوب مهما عظمت، واحمد ١٧٢/٥، والدارمي٣٢٢/٢. وحسنه الالباني في ص/الجامع (٤٣٣٨) وفي الصحيحة (١٢٧) وقال حفظه الله: رواه الترمذي (٢٧٠/٢) من طريق كثير بن فائد: حدثنا سعيد بن عبيد قال: سمعت بكر بن عبدالله المزني يقول: حدثنا أنس ابن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فذكره وقال:(حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه) قلت: ورجاله موثوقون غير كثير بن فائد ، فلم يوثقه غير ابن حبان ، وفي (التقريب) انه مقبول ، قلت: لكن الحديث حسن كما قال الترمذي ، فإن له شاهدا من حديث ابي ذر، يرويه شهر بن حوشب عن عمر بن معد يكرب عنه مرفوعا به مع تقديم وتأخير أخرجه الدارمي(٣٢٢/٢) واحمد(١٧٢/٥) من طريق غيلان ابن جرير عنه وخالفه عبدالحميد - وهو ابن بهرام - فقال: ثنا شهر حدثني ابن غنم أن أبا ذر حدثه به .

أخرجه احمد (١٥٤/٥) وشهر فيه ضعف من قبل حفظه، وإن لم يكن هذا الاختلاف عليه من تردده وسوء حفظه، فالوجه الاول اصح، لان غيلان أوثق من ابن بهرام، وله شاهد آخر عند الطبراني في (معاجمه) عن ابن عباس، وهو مخرج في (الروض النضير)(٤٣٢).

وله عن أبي ذر طريق آخر مختصر بلفظ: (قال الله تبارك وتعالى: الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد، والسيئة واحدة أو أغفرها، ولو لقيتني بقراب الارض خطايا ما لم تشرك بي لقيتك بقرابها مغفره) روه الحاكم (٢٤١/٤) واحمد (١٠٨/٥) عن عاصم عن المعرور ابن سويد أن أبا ذر رضي الله عنه قال: (حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: الحسنة...) وقال: (صحيح الاسناد) ووافقه الذهبي . قلت: عاصم هو ابن بهدلة وهو حسن الحديث، وبقية الرجال ثقات رجال الشيخين، فالاسناد حسن (انظر السلسلة الصحيحة رقم الحديث (١٢٧)(١٢٨) .

شرح الحديث التاسع والأربعون

فضل التوحيد الخالص :

قوله: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني): (ما) مصدريه ظرفيه أي: مـــادمت تدعوني وترجوني يعني في مدة دعائك ورجائك .

(غفرت لك على ما كان فيك): أي: حال كونك مستمرا على ما وجدته فيـك مـن الذنب، ويستثنى منه الشرك لخبره تعالى ولما سيأتي، وظاهره أنه ولو بغير توبــة ويؤيده قوله(ولا أبالي):أي والحال أني لا أتعظم مغفرتك علي وإن كان ذنبا كبــيرا أو كثيرا، فإن رحمتي سبقت أو غلبت غضبي .

قال الطيبي في قوله: ولا أبالي: معنى لا يسأل عما يفعل .

قوله: (لو بلغت ذنوبك عنان السماء): بفتح العين أي سحابها، وقيل: ما علا منـــها أي: ظهر لك منها إذا رفعت رأسك إلى السماء .

قال الطيبي: العنان السحاب، وإضافتها إلى السماء تصوير لارتفاعه، وأنه بلغ مبلغ السماء، ويروي(أعنان السماء) أي: نواحيها جمع عنن، وقيل: إضافته مـــن بـــاب التأكيد كقوله تعالى: (فخر عليهم السقف من فوقهم). (١)

قوله: (إنك لو أتيتني بقراب الأرض): بضم القاف: وقيل بكسرها والضم أشــــهر، وهو ملؤها أو ما يقارب ملئها. (٢)

قوله: (خطايا): جمع خطيئة، وهي الذنب، والخطايا الذنوب ولو كـــانت صغــيرة لقوله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾ (٣) { البقرة٨٢}

قوله: ﴿ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا﴾: شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك: كثيره و قليله، صغيره وكبيره. ولا يسلم من ذلك إلا من سـلم الله تعالى، وذلك هو القلب السليم كما قال تعالى:﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنـــون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾{الشعراء٨٩}

---

(١) المرقاة (١٦٩/٥)

(٢) فتح المجيد ص(٦٦)

(٣) القول المفيد (٧٧/١)

قال ابن رجب: من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة - إلى أن قال - فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشرطه بقلبه ولسانه وبجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله: محبة وتعظيما، وإجلالا ومهابة وخشية وتوكلا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، وإن كانت مثل زبد البحر.ا هـ ملخصا .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الحديث: ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك مالا يعفى لمن ليس كذلك. فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئا البته ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه، وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة والدافع لها قوي اهـ .

وفي هذا الحديث: كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله وجوده ورحمته، والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون ليس بمؤمن ولا كافر، ويخلد في النار. والصواب قول أهل السنة: أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف هذه الأمة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، فأعطي ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا: المقحمات) رواه مسلم

قال ابن كثير في تفسيره: وأخرج احمد والترمذي وابن ماجه والنسائي عن أنس ابن مالك قال: (قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية(هو أهل التقوى وأهل المغفرة){المدثر ٥٦} وقال:قال ربكم: أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلها كان أهلا أن أغفر له). [1] انتهى

---

[1] فتح المجيد ص (٦٦)إلى(٦٨)

الحديث الخمسون

﴿ الدعوة إلى كلمة التوحيد ﴾

عَن ابن عَبَّاسٍ رَضيِ اللهُ عنهُما قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لمُعاذ بْنِ جَبَلٍ حينَ بَعَثَه إلى الْيَمَن إنَّك ستَأْتي قَوْماً أهْلَ كِتَاب فإذَا جِئْتَهمْ فادْعُهُم إلى أنْ يَشْهدُوا أن لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وأن مُحمَّداً رَسُولُ الله، فإنْ هُمْ أطاعُوا لَكَ بذَلكَ فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللهَ قَدْ فَرَض عَلَيهِمْ خَمسَ صلَوات في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلةٍ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لَك بِذَلكَ فأَخْبِرْهمْ أنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِم صدَقَةً تُؤْخَذُ من أغْنيائهم، فَتُردُّ على فُقَرائهمْ، فإن هُمْ أطاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فإيَّاكَ وكَرائِمَ أمْوالِهمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المظْلُومِ، فإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبيْنَ الله حِجابٌ.

وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إلىَ الْيَمَنِ قَالَ: (إنَّك تَقْدَمُ عَلَى قَوْمِ أَهْلِ كِتَاب. فَلْيَكُنْ أوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ عِبَادَةُ الله عَزَّ وَجَلَّ. فَإذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ ولَيْلَتِهِمْ. فَإذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائهِمْ. فَإذَا أَطَاعُوا بِهاَ، فَخُذْ مِنْهُمْ وتَوَقَّ كَرَائمَ أَمْوَالِهِمْ). [1]

ترجمة الصحابي: هو أبو العباس عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، الهاشمي، القرشي، ابن عم النبي ﷺ ، وأمه لبانة بنت الحارث، من بني عامر بن صعصعة، أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي ﷺ وله ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، وقيل: عشرة – وذلك قبل خروج بني هاشم من الشعب، وهم محصورون فيه، وقيل: ولد قبل الهجرة

[1] أخرجه البخاري ٨/٥١ في المغازي – باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، وفي الزكاة – باب وجوب الزكاة، وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، وفي المظالم – باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، وفي التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ امته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم (١٩) في الإيمان – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، وأبو داود (١٥٨٤) في الزكاة – باب زكاة السائمة، والترمذي (٦٢٥) في الزكاة – باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة، والنسائي ٥/٥٢–٥٥ في الزكاة – باب وجوب الزكاة، وباب إخراج الزكاة من بلد إلى بلد.

بسنتين، كان حبر هذه الأمة، وعالمها، دعا له النبي ﷺ بالحكمة، والفقه، والتأويل. رأى جبريل عليه السلام مرتين، قال مسروق: كنت إذا رأيت عبدالله بن عباس، قلت: أجمل الناس، قال: فإذا تكلم، قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث، قلت: أعلم الناس، وكان عمر بن الخطاب يقربه، ويدنيه، ويشاوره، مع جلة الصحابة، وكف بصره في آخر عمره، ومات بالطائف سنة ثمان وستين، في أيام ابن الزبير، وهو ابن سبعين سنة، أو إحدى وسبعين، وصلى عليه محمد بن الحنفية.

روى عنه خلق كثير من الصحابة، والتابعين، وكان أبيض طويلا، مشربا صفرة، جسيما، وسيما، صبيح الوجه، له وفرة. يخضب بالحناء، وكان قدم مصر، وغزا أفريقية مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح في سنة سبع وعشرين.

شرح الحديث الخمسون

قوله: (ستأتي قوما أهل كتاب): هي كالتوطئه للوصية لتستجمع همته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان، وليس فيه أن جميع من يقدم عليهم من أهل الكتاب، بل يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصهم بالذكر تفضيلا لهم على غيرهم.

قوله: (فإذا جئتهم): قيل عبر بلفظ (إذا) تفاؤلا بحصول الوصول إليهم.

قوله: (فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) وفي رواية (وأني رسول الله).

وفي رواية (فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله) وفي رواية (إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك).

ويجمع بينهما بأن المراد بعبادة الله توحيده، وبتوحيده الشهادة له بذلك، ولنبيه بالرسالة، ووقعت البداءة بهما لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما ومن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحدا فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية، والإقرار بالرسالة.

وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الاشراك أو يستلزمه كمن يقول ببنوة عزير، أو يعتقد التشبيه، فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم.

واستدل به من قال من العلماء أنه لا يشترط التبرى من كل دين يخالف دين الإسلام، خلافا لمن قال: أن من كان كافرا بشيء وهو مؤمن بغيره لم يدخل في الإسلام إلا بترك اعتقاد ما كفر به.

والجواب: أن اعتقاد الشهادتين يستلزم ترك اعتقاد التشبيه ودعوى بنوة عزير وغيره، فيكتفي بذلك.

واستدل به على أنه لا يكفي في الإسلام الاقتصار على شهادة أن لا إله إلا الله حتى يضيف إليها الشهادة لمحمد بالرسالة وهو قول الجمهور.

وقال بعضهم يصير بالأولى مسلما، ويطالب بالثانية. وفائدة الخلاف تظهر بالحكم بالردة. [1]

ما دل عليه الحديث: [2]

١. الدعاء إلى التوحيد قبل القتال، وتوصية الإمام عامله فيما يحتاج إليه من الأحكام وغيرها.
٢. قبول خبر الواحد ووجوب العمل به.
٣. وفيه أن الوتر ليس بواجب، لأن بعث معاذ إلى اليمن كان قبل وفاة النبي ﷺ بقليل بعد الأمر بالوتر والعمل به.
٤. وفيه لا يحكم بإسلام الكافر إلا بالنطق بالشهادتين، وهو مذهب أهل السنة.
٥. وفيه أن الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة.
٦. وفيه بيان عظم تحريم الظلم، وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته ويأمرهم بتقوى الله تعالى ويبالغ في نهيهم عن الظلم، ويعرفهم قبح عاقبته.
٧. وفيه أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة، بل يأخذ الوسط. ويحرم على رب المال إخراج شر المال.

---

[1] (فتح الباري ٢٧٩/٣)

[2] (شرح مسلم ١٩٧/١)

٨. وفيه أن الزكاة لا تدفع إلى كافر، ولا تدفع أيضا إلى غني من نصيب الفقراء.

٩. وفيه جواز نقل الزكاة خارج البلد خلافا لمن قال لا يجوز إخراجها خارج بلدها لقوله (فترد على فقرائهم) وهذا الاستدلال ليس بظاهر، لأن الظمير في فقرائهم محتمل لفقراء المسلمين ولفقراء أهل تلك البلدة والناحية، وهذا الاحتمال أظهر.

١٠. واستدل بعضهم على أن الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشريعة من الصلاة والصوم والزكاة وتحريم الزنا ونحوها، لكونه ﷺ قال (فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن عليهم) فدل على أنهم إذا لم يطيعوا لا يجب عليهم. وهذا استدلال ضعيف، فإن المراد أعلمهم أنهم مطالبون بالصلوات وغيرها في الدنيا، والمطالبة في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، وليس يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها، يزاد في عذابهم بسببها في الآخرة، ولأنه ﷺ رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم. ألا تراه بدأ ﷺ بالصلاة قبل الزكاة، ولم يقل أحد أنه يصير مكلفا بالصلاة دون الزكاة والله أعلم.

ثم اعلم أن المختار أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه. هذا قول المحققين والأكثرين.

وقيل ليسوا مخاطبين بها. وقيل مخاطبون بالمنهي دون المأمور والله أعلم. انتهى.

﴿ الخاتمة ﴾

الله الله ! أيها الناس تمسكوا بأصل دينكم

قال العلامة صديق حسن خان رحمه الله: في كتابه الدين الخالص ١٨٥/١: فالله الله يا أيها الناس ! تمسكوا بأصل دينكم الذي ارتضاه الله تعالى لكم، ودعا إليه نبيكم، وقاتل المشركين عليه، وندبنا إليه، وجاهد فيه لله حق جهاده.

وأساس هذا الدين ورأسه ونبراسه شهادة أن لا إله إلا الله (أي لا معبود) إلا الله. واعرفوا معناها، واستقيموا عليها، وادعوا الناس تبعا لرسول الله ﷺ واجعلوها كلمة باقية في عقبه في أبناء زمانكم، إتماما للحجة وإيضاحا للمحجة وكانوا من أهلها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم في الدين، ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وابغضوهم، وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، ولم يكفرهم، أو قال: ما علي منهم. أو قال: ما كلفك الله بهم. فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم. وفرض عليهم الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم. فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وانتم لا تشركون به شيئا. انتهى كلامه رحمه الله.

يا إخواني:

اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد، فإنه لا يوصل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه، فإنه لا ينجي من عذاب الله إلا إياه.

ما نطق الناطقون إذ نطقوا ... أحسن من لا إله إلا هو
تبارك ذو الجلال ومن ... أشهد أن لا إله إلا هو
من لذنوبي ومن يمحصا ... غيرك يا من لا إله إلا هو
جنان خلد لمن يوحده ... أشهد أن لا إله إلا هو
نيرانه لا تحرق من ... [حقق] أن لا إله إلا هو
أقولها مخلصا بلا بخل ... أشهد أن لا إله إلا هو

آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [1]

وتم الفراغ منه يوم الأحد ٤/ذو القعدة/١٤١٨ – الموافق ٢/٣/١٩٩٨م ولله الحمد والمنة.

[1] كتاب التوحيد لابن رجب ص (٩٥)

الفهـــــــارس

فهرس الأحاديث المتصدرة

إن الحمد لله، وسبحان الله ولا إله إلا الله	عن أنس ابن مالك	الحادي والثلاثون
إن نبي الله نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة	عن عبدالله بن عمرو بن العاص	الثامن
إنك ستأتي قوما أهل كتاب	عن ابن عباس	الخمسون
إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا اشرق لها لونه	عن طلحة بن عبيد الله	الرابع والعشرون

(ث)

ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد	عن أنس بن مالك	الثامن عشر

(خ)

خرجت من النار	عن أنس بن مالك	الرابع والأربعون
خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا	عن عمرو بن شعيب	السادس والثلاثون
فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله	عن عتبان بن مالك	الخامس

(ق)

قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني	عن أنس ابن مالك	التاسع والأربعون

(ل)

لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد	عن أبي هريرة	التاسع عشر
لقيت ابراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد	عن ابن مسعود	الخامس والثلاثون
ليس ذلك إنما هو الشرك	عن عبدالله بن مسعود	الثامن والأربعون

(م)

ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصا، إلا فتحت له أبواب السماء	عن أبي هريرة	العاشر
ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه	عن أنس بن ملك	الرابع
ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ يرجع ذلك	عن معاذ بن جبل	الثالث والعشرون
ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبا تمضي	عن أبي ذر	الثاني والعشرون

عليّ ثلاثة أيام		
من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له	عن عمر بن الخطاب	الحادي والأربعون
من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة	عن ابن عمر	الثاني
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله	عن عبادة بن الصامت	الأول
من شـــهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمـــداً رسول الله حرَّم الله عليه النار	عن عبادة بن الصامت	الأول
من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه	عن جابر بن عبدالله	الثالث
من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشـــهد أن لا إله إلا الله	عن سعد بن أبي وقاص	الخامس والأربعون
من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة	عن جابر بن عبدالله	الثالث
من قال: لا إله إلا الله أنجته يوماً من دهره	عن أبي هريرة	الثامن والعشرون
من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد	عن رجلين من الصحابة	السابع والثلاثون
من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، له الملك وله الحمد... في يوم مئة مرة	عن أبي هريرة	الثامن و الثلاثون
من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، له الملك وله الحمد... عشر مرات	عن البراء بن عازب	التاسع والثلاثون
من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، له الملك وله الحمد ...عشر مرات	عن أبي أيوب الأنصاري	الأربعون
من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد مـــن دون الله	عن طارق الأشجعي	الحادي عشر
من كان آخر كلامه لا إلـــه إلا الله دخـــل الجنة	عن معاذ بن جبل	الحادي والعشرون
من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة	عن جابر بن عبدالله	الخامس والعشرون
من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخـــل الجنة	عن عثمان بن عفان	العشرون
المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إلــه إلا الله	عن البراء بن عازب	السادس والعشرون

(هـ)

هل تدري ما حق الله على العباد؟	عن معاذ بن جبل	السابع والأربعون

(لا)

لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله	عن أبي هريرة	السادس عشر
لا تقل ذلك ألا تراه قال: لا إله إلا الله	عن عتبان بن مالك	الخامس
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلـــه إلا الله	عن عائشة	الثالث عشر
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلـــه إلا الله وأني رسول الله	عن ابن مسعود	الثاني عشر
لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثـــلاث: رجل كفر بعد إسلامه	عن عثمان	الرابع عشر

(ي)

يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله	عن أنس بن مالك	السابع والعشرون

فهرس التراجم

راوي الحديث

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. صحيح البخاري.

٣. صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر.

٤. صحيح سنن أبي داود محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – للطبعة الجديدة .

٥. صحيح سنن الترمذي وضعيفه – مكتب التربية العربي لدول الخليج – تأليف محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الأولى.

٦. صحيح سنن النسائي وضعيفه – تأليف محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الأولى للطبعة الجديدة – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٧. صحيح سنن أبن ماجه وضعيفه – تأليف محمد ناصر الدين الألباني – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الطبعة الأولى.

٨. صحيح الجامع الصغير وزيادته مع ضعيفه – تأليف محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة.

٩. جامع الأصول – لابن الأثير – تحقيق عبد القادر الأرنؤوط – دار الفكر الطبعة الثانية.

١٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة – تأليف محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى.

١١. تفسير ابن كثير – تحقيق حسين بن إبراهيم زهران – دار الفكر – الطبعة طبعة عام ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

١٢. فتح القدير – تأليف محمد الشوكاني – المكتبة الفيصلية .

١٣. فيض القدير – للمناوي – دار الفكر.

١٤. فتح الباري – لابن حجر العسقلاني – دار أحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

١٥. شرح صحيح مسلم – للنووي – دار الكتب العلمية – بيروت .

١٦. المرقاة شرح المشكاة – للقاري – تحقيق صدقي العطار – المكتبة التجارية – مكة المكرمة .

١٧. القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد صالح العثيمين – دار العاصمة – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

١٨. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – تأليف الشيخ عبدالرحمن آل شيخ – تحقيق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – دار القلم – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

١٩. قرة عيون الموحدين – تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن – تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري – طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

٢٠. تيسير العزيز الحميد – تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب – المكتب الإسلامي – الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ .

٢١. جامع العلوم والحكم – لابن رجب الحنبلي – تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٢٢. شرح ابن ماجه – للسندي تحقيق خليل مأمون شيحا – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٢٣. موطأ الإمام مالك – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار أحياء التراث العربي ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

٢٤. تحفة الأحوذي – للمباركفوري – دارة الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٢٥. الواجبات المتحتمات المعرفة – لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٢٦. التوحيد ومعنى الشهادتين – للشيخ محمد صالح العثيمين – دار المسلم للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٢٧. كلمة الإخلاص – لابن رجب الحنبلي – تحقيق محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ.

٢٨. كتاب التوحيد – لابن رجب الحنبلي – تحقيق صبري بن سلامة شاهين – دار القاسم للنشر – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٢٩. مفتاح الجنة – للمعصومي الخجندي – تحقيق على حسن عبد الحميد – المكتبة الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

فهرس الكتاب